ابن الرومي في مدن الصفيح

احتفال مسرحي في ١٧ لوحة

عبد الكريم برشيد

شخصيات المسرحية

١ ـ ابن الرومي الشاعر
٢ ـ عريب الجارية
٣ ـ دعبل الاحدب
٤ ـ عيسى البخيل
٥ ـ اشعب المففل
٦ ـ جحظة المغني
٧ ـ الزبون الابكم
٨ ـ الرباب بائعة الجواري
٩ ـ حبابة الجارية
١٠ ـ جوهرة الجارية
١١ ـ الخادم يا زمان
١٢ ـ يعقوب المنادي
١٣ ـ اسحاق المقدم
١٤ ـ ابن دانيال
١٥ ـ دنيا زاد ابنته
١٦ ـ عامل الستار
١٧ ـ سعدان كاتب عمومي
١٨ ـ حمدان الشاعر
١٩ ـ رضوان العامل
٢٠ ـ مقدم الحي
٢١ ـ العون الاول
٢٢ ـ العون الثاني
٢٣ ـ عاشور الابله
٢٤ ـ الاطفال ١ ، ٢ ، ٣ .

١ ـ الى ان يرتفع الستار

(تنطفىء الانوار بينما يبقى الستار مسدلا . بقعة ضوء متحركة تكشف عن رجل متحرك يخترق صفوف الجمهور . يجري نحو الخشبة وهو يجر خلفه عربة تعانقت فيها الالوان بشكل مثير . تقرأ على العربة بالوان مختلفة (خيال الظل . تمثيل . رقص . شعر . غناء . زجل) . تمشي الى جوار العربة فتاة غجرية هي ابنة الرجل . تصاحب دخولها الصاخب موسيقى مرحة . يرتدي الرجل وابنته لباس الفجر المتجولين . يخفيان وجههما خلف اقنعة كاريكاتورية ملونة . يمشيان في حركة شبه راقصة وهما يلقيان على الجمهور بالورق الملون والشهب الاصطناعية والمناشير وقصاصات الصحف والاشعار .. يمر المشهد بسرعة سينمائية محدثا رجة في الصالة . يمكن للمشهد ان يبتدىء خارج المسرح او عند مدخله . يلتحق الثنائي اخيرا بالخشبة وذلك من خلال ممر خشبي يربط ما بين الصالة والخشبة) .

عامل الستار (مسرعا نحو الثنائي في غضب) : ايها السيد العاصفة . يا من يدخل كالطوفان والزلزال . متى تفهم ؟

ابن دانيال : تكلمني ؟ (ينزع عن وجهه القناع) .

عامل الستار : اكلمك . ان كنت طفيليا فاعلم انك لست في عرس ..

ابن دانيال : المسرح حفل واحتفال . هكذا علمونا ..

عامل الستار : ولكن نحن من يعطي الحفل لا انت .

ابن دانيال : ومن قال هذا ؟

عامل الستار : لا توجع راسي باسئلتك البلهاء . خذ مكانك بين الناس واقنع بالظلمة والصمت . خذ مكانك ..

ابن دانيال : اليس هذا مسرحا يا رجل ؟

عامل الستار : انه مسرح وان حسبته سيركا فقد اخطات . خذ مكانك ودعنا نرفع الستار ..

ابن دانيال (ملتفتا لابنته) : دنيا زاد . هل سمعت ؟ ان الرجل لا يعرفني يا ابنتي ..

دنيا زاد : وكل من في الصالة ايضا لا يعرفك .

ابن دانيال : اخبريهم اذن عني . اخبريهم ، لا اريد ان اضيع هكذا في الزحام ..

دنيا زاد (للعامل) : سيدي . هذا الرجل الواقف امامك في تواضع العلماء ، هل تدري من يكون ؟ انه ابن دانيال شيخ المخايلين ...

عامل الستار : بل هو شيخ المخادعين ..

ابن دانيال : سامحك الله ... هربت من كتب التاريخ الصفراء ...

عامل الستار : هذا ما تقوله انت ..

ابن دانيال : وماذا يقول غيري ؟

عامل الستار : انك هربت من مصحة المجانين ..

ابن دانيال : الملاعين ! اجبني أيها الرجل . لقد سمعت من غير شك عن ابن دانيال ..

عامل الستار : سمعت الكثير ..

ابن دانيال : او قرات شيئا عني .. هل تقرا الصحف ؟

عامل الستار : اقراها . ولقد رايت صورتك في ركن المتغيبين .

ابن دانيال (لابنته في فرح) : دنيا زاد . هل سمعت ؟ لقد تعرف الرجل عليّ اخيرا .. سيدي ، اذهب وارفع الستار وليبدا الحفل وسترى ان كنت ابن دانيال أم لا ..

عامل الستار : سارفع الستار ولكن ليس الآن . عمال المناظر لم يكملوا البناء بعد .

ابن دانيال : عمال البناء ؟.. ولكن ، اي شيء يبنون الآن ؟ اريد ان اعرف ذلك ..

عامل الستار : لن ترى جديدا ..

ابن دانيال : ماذا اسمع ؟

عامل الستار : ... فمنذ كان المسرح والمناظر محصورة في عينين . القصور للاغنياء ..

ابن دانيال : ... والاكواخ للفقراء .. (تسمع الدقات التقليدية الثلاث . ينسحب عامل الستار) .

٢ ـ رحلة المخايل الطويلة ..

(يرتفع الستار عن ساحة تحيط بها مجموعة من دور القصدير واخرى من القصب . ظلام شبه تام . تنبعث من (النوافذ) اضواء خافتة ترسلها شموع هزيلة . في الجهة اليسرى للجمهور تشاهد مصطبة مستديرة .. الدور هي عبارة عن اطارات خشبية او قصبية وبداخلها ستارات مختلفة الالوان رسمت فوقها ابواب ونوافذ .. وبواسطة النور المنبعث من الخلف يمكن ان نرى الحياة داخل الاكواخ، وذلك على شكل ظلال متحركة .. نرى امراة حبلى وهي تحرك الحصى داخل قدر وهمي وفوق راسها اقنعة ظلية مختلفة ذات افواه مفتوحة عن آخرها . نرى رجلا في وضع الصلاة وفي يده سبحة .. نرى امراة تطحن وهي تردد لحنا حزينا .. نشاهد رجلا غارقا في سحابة كثيفة من الدخان وفي يده قضيب وبالقرب منه كاس شاي .. تصاحب هذه المشاهد السريعة موسيقى تصور الليل والفقر ..) .

دنيا زاد (للجمهور ، بعد ان تتامل المنظر مليا) : سادتي . ترى من يكون الشيخ وما قصته ؟ في العين اراه سؤالا بحجم السماء .. وفي القلب يا سادتي اقراه ...

ابن دانيال : انا ابن دانيال المخايل وهذه دنيا زاد ابنتي . حيي الجمهور يا امراة .. (تنحني . تصفيقات خارجية) . رحبي بالناس كما تعودت . هيا افعلي ..

دنيا زاد : سادتي . أهلا وسهلا بمن قد حضر ... (تصفيق) .

ابن دانيال : .. ليلنا رقص وغناء وشعر وسمر ..

دنيا زاد : لا تصدقوه ارجوكم . انه يخلط الجد بالهزل ..

ابن دانيال : احبتي اتيتكم من بين الصفحات الصفر الباليات .
من الزمن المعلب النائم فوق الرفوف
كنت حرفا تائها . معلقا منشورا
فوق حبل الزمن
فجئتكم ، كدفقة نور كموجة صوت
كليل يمطر اقمارا ونجوما ساطعات
كنت عمرا فقيرا ، بذر في غيبة السمار زيته
فجئته الآن من قلب غمامة
احمل حفنة زيت وفي القلب شرارة ... (ملتفتا لدنيا زاد) : اكملي انت يا ابنتي .

دنيا زاد (للجمهور) : ريشتان نحن يا سادتي
في مهب الرياح الزمن ...

ابن دانيال : .... تحملنا ، تنقلنا عبر المدائن والقرى والاسواق تنقلنا الرياح ..

دنيا زاد : أبي .. (وهي تنظر الى الجمهور) : هل قرات مثلي ما يجول في خاطر الحاضرين ؟

ابن دانيال : ما قرات شيئا يا بنتي ..

دنيا زاد : انهم يسالون عن ثروتك ..

ابن دانيال : ثروتي ؟! (يضحك) : ثروتي كالشعراء في الكلمات . يداي فارغتان الا من ظلال . ظلال تعيش بغير نبض . واشباح تحيا من غير انفاس .. ثروتي أطياف خيال تحركها قضبان خفية ، وقناديل وشموع ترسم بالنور ظلالا شبه حية . أدخل القرى والمدائن فيتبعني الاطفال الاشقياء . يجرون كالشياطين خلف العربة ... (يدخل طفل صغير . يرى المخايل فينادي اصحابه بأعلى صوته)

الطفل ١ : لقد جاء صاحب طيف الخيال . اسرعوا . اسرعوا . (يدخل طفلان آخران . يتصايح الجميع فرحا وهم يرددون بشكل موقع : طيف الخيال . طيف الخيال) .

ابن دانيال : اسمعوا يا اطفال . كل شيء الا الصخب . هل اتفقنا ؟

الطفل ٢ : اتفقنا ..

ابن دانيال : لن اطالبكم بشيء اكثر من الصمت . انتم ضيوفي امدّ لكم موائد الحكايا والسير .

الطفل ١ : عمي الشيخ نريد أن نسالك ..

ابن دانيال : هيا اسالوا ما شئتم ..

الطفل ١ : ترى أين تمضي دائما بهذه العربة ؟

ابن دانيال : أين امضي ؟! دنيا زاد . هل سمعت ؟! (ملتفتا للاطفال) الى ساحات بغداد والشام .

الاطفال (في نفس واحد) : نمضي وراءك ..

الطفل ٢ : .. ولو الى عين الشمس ..

الطفل ٣ : وبرج القمر ..

ابن دانيال (يضحك) : الى اسواق فاس والقيروان . الى بيروت الفجرية . الى عمان الآثمة . عالما كاملا اجر ورائي . أجرّ الاشرار والاخيار . أجر السلاطين والمهرجين . أجر الفقهاء والسفهاء . أجر الازمان والامكنة . اجر الفقر اجر الغنى .. عالما كاملا اجر ورائي .. عالما كاملا .. (يجرّ العربة نحو المصطبة . يساعده الاطفال . ينسحب النور ليبقى في ظلام شبه تام منشغلا بتحضير ستارة خيال الظل) .

٣ ـ تحولات القصدير المنظرة ..

(يضاء الجانب الآخر . يدخل (القدم) يتبعه اثنان من اعوانه)

القدم (للرجلين) : اطرقا هذه الابواب . اريد ان اكلم اصحابها . بسرعة ..

العون ١ : افتحوا الابواب . افتحوا . المقدم يريدكم في امر هام .

العون ٢ : حمدان . افتح الباب يا حمدان ..

العون ١ : .. افتحوا . المقدم ينتظر (يخرج من ابواب مختلفة . حمدان وسعدان ورضوان) .

المقـدم : اخيرا فتحت يا سمسم .. (مقتربا من حمدان) حمدان. انت قلب الحي وشاعره . اليس كذلك ؟

حمـدان : هكذا يقولون عني ..

المقـدم : وانت يا سعدان . يا حكيم الحي ولقمانه ..

سعـدان : .. انا كاتب عمومي فقير ..

المقـدم : انت عقله المفكر . أليس كذلك ؟

سعـدان : لست وحدي من يملك عقلا ...

المقـدم (لرضوان) : وانت يا رضوان . يا أيها العامل في البدلةالزرقاء . أنتساعد هذا الحي. ساعده الايمن . والايسر كذلك .. (يضحك في خبث) اليس كذلك ؟

رضـوان : كلنا في الحي سواعد . نخيط الوف الالبسة ولا نلبس الا جلدنا ..

حمـدان (في سخرية) : هذا اذا تركوا جلدك آمنا (يضحكون) .

المقـدم : انتم نخبة هذا الحي . من أجل هذا اخترتكم لانكم تمثلون الحي وأهله .. اخبروني اولا ، هل تعلمون لماذا اتيتكم ؟

حمـدان : نعم . جئت تحمل اخبار السوء كعادتك ..

المقـدم : لا . قل غير هذا .

سعـدان : .. فما رأيناك الا رسول الشؤم والنحس ..

المقـدم : كان ذلك قديما . اما الآن فقد تغير كلشيء . صدقوني. لقد أصبحت الدنيا غير الدنيا والارض غير الارض .. انظروا . ان الشمس قد اصبحت اليوم أجمل والليل اروع .. زمن الشؤم مضى . ان اليوم والغد يا سادتي للبسطاء ، لمن كان مثلكم يعشق في عذرية وعفة . تحبون الخبز بلا أمل . تتغزلون فيه من بعيد فقط . أياديكم طاهرة كأيدي الملائكة . لم تدنسها الاوساخ . اوساخ الدنيا كالاغنياء . اخبروني ماذا يمكن أن أمنحكم غير الدعاء . سادتي . سلمت اياديكم كما هي . طاهرة نقية ..

حمـدان : يعلم الله ماذا وراء هذا التغزل !

المقـدم : لا شيء . صدقوني . هذه كلمة حق أصوغها لفظا وعبارة ..

رضـوان : الا ترى انك أطلت الخطاب بعض الشيء ؟

المقـدم : ربما . ولكن المقام يفرض ذلك ..

حمـدان : بين أحرفك يا سيدي أقرأ امرا خطيرا ...

المقـدم : كلام في محله ..

رضـوان : سيدي . ليس بعد الفقر والجوع شيء غير الغضب ...

المقـدم : عجبا . وهل يغضب السعداء ؟ لا . من جاءهم بشر مثلي يحمل البشرى ...

حمـدان (مقاطعا) : لا يحمل البشرى الا البشير ..

سعـدان : .. وما عرفناك الا نذير شؤم ..

المقـدم (يضحك) : احمل اليوم ما يؤكد العكس . اسمعوا هذا المنشور .. (يخرج منشورا . يهم بقراءته ثم يتوقف مترددا) لا لا لن اقرأ . يجب اولا أن تتهيأوا نفسيا حتى لا يسقط أحدكم مغشيا عليه . من يدري ؟ الفرحة قد تقتل .. نعم قد تقتل فلم تضحك ؟ (لحمـدان) استعدوا اولا ثم اقرأ المنشور ثانيا... اسمعوا (يقرأ) لقد قرر اعضاء المجلس البلدي ـ الموقر طبعا ـ ان يقوموا بترحيل سكانهذا الحي الىمكان ما ـ الدراسات الآن جارية والموقع لم يحدد بعد ولكن اطمئنوا ـ وعليه فلا بد من افراغ حي القصدير حالا حتى يمكن هدمه وبناؤه فنادق سياحية جميلة . فكروا في السواح والدولار والدينار .. فكروا .. (ينظر الى الثلاثي ليقرأ في العيون رد الفعل . يرمونه بنظرات غريبة) .. آه عفوا . نسيت قراءة الحيثيات . اذن اسمعوا ... حيث ان الحي ـ وبناء على التقارير الطبية ـ لم يعد صحيا ...

سعـدان : عجبا . كانه من قبل كان صحيا !؟ اكمل ...

المقـدم (يتابع القراءة) : وحيث انه معرض للحريق في كل حين وذلك لاعتماد البناء فيه على ....

رضـوان : نعم . وبناء ؟

المقـدم : (ملتفتا الى رضوان) شكرا .. (يتابع القراءة) على ان السكان ـ وانتم منهم طبعا ـ يعانون وضعا لاانسانيا مزريا فقد قرروا ما قرروا .. (يطوي الورقة) ايها السادة . تأملوا هذه الشهامة . تأملوها . بودي لو استطيع ان ابكي . انني جد متأثر .. سترحلون الآن الى حيث شئتم وبعد أن تتم الدراسات ويأتي المهندسون والمقاولون والبناءون والعمال ، وبعد ان يحضر الاسمنت والحجارة والحديد والاخشاب والرخام والشاحنات والعربات والرافعات ، وبعد ان تأخذ الدلاء طريقها عبر السلالم والحبال ، وبعد أن ترتفع الى السماء دور مفتوحة على الشمس والهواء ، بعيدة عن الرطوبة والعفونة . عند ذلك الوقت سابحث عنكم . أستدعي الاحياء منكم واترحم على الاموات .. ستعطون المفاتيح في حفل عمومي يحضره الاعيان والاشراف والجنود والخدم والصحفيون والمصورون والسماسرة والشحاذون والنجارون والحدادون والواقفون على أرجلهم والمقعدون والصم والبكم والعميان والمقرئون على الموتى .. سيكون حفلا مشهودا تهتز له الارض والسماء وتباركه الملائكة وأقلام المؤرخين الماجورين (يضحك الرجال الثلاثة) .

حمـدان : لا تتعب نفسك اكثر ، فقد تكلمت بما فيه الكفاية ..

رضـوان : تريدون ان نخرج من الحي ؟ اذن اطمئن . سنفعل ذلك اكراما لعينيك (يضحكون) .

المقـدم : حقا ؟

سعـدان : نعم ولكن ليس الآن .

المقـدم : لست افهم ..

حمـدان : نحن من يختار الوقت لا أنت (يضحكون من جديد . ظلام تام . بعد ثوان تضاء ستارة خيال الظل في الجانب الآخر . نشاهد مهرجا ظليا يضحك بهستيريا) .

٤ ـ المخايل القديم والملاحم الجديدة .

ابن دانيال (يقف امام الستارة وينادي) : ايها الناس اقتربوا . اقتربوا ترووا ..

دنيا زاد : .. اقتربوا ..

ابن دانيال : .. سمعتم بطيف الخيال ولكن ...

دنيا زاد : .. هل رأيتموه ؟

ابن دانيال : لا . اذن فاقتربوا تروا ..

دنيا زاد : اقتربوا ..

ابن دانيال : .. من ممالك الخرافات ..

دنيا زاد : جاء المخايل ..

ابن دانيال : من مدن الفيلان والاحلام فاقتربوا تروا ..

دنيا زاد : اقتربوا .. (ينضم حمدان وسعدان ورضوان الى الاطفال مكونين بذلك جمهورا صغيرا) .

ابن دانيال : انا المخايل . اطوف القرى والمدائن . اقرع الدف واحكي السير ..

الطفل ١ : قل لنا يا عمي الشيخ ماذا في الصندوق ؟

ابن دانيال : في الصندوق جحا يبيع حبة الفهم . فيه لقمان والضحاك وحمزة البهلوان .. فيه السندباد والرخ والعنقاء . فيه ما سترون بأعينكم .. (موسيقى مرحة. تظهر على الستارة صور ظلية لشخصيات ذات ابعاد اسطورية) .

ابن دانيال (مقدما الصورة الاولى) : سيدنا علي ..

دنيا زاد : .. فوق السرحان ..

ابن دانيال : مع العاتي راس الغول (موسيقى . تختفي الصورة وتظهر اخرى) .

دنيا زاد : الفارس المغوار ..

ابن دانيال : .. ابو زيد الهلالي ..

دنيا زاد : وخليفة الزناتي (موسيقى . تختفي الصورة وتظهر اخرى) .

ابن دانيال : فارس بني عبس ..

دنيا زاد : .. عنترة بن شداد ..

ابن دانيال : .. مع الفارس الاعور موشى دايان .. (موسيقى . تختفي الصورة . يعود الضوء من جديد كاملا لنشاهد ان الجمهور الصغير منشغل بلعب الورق والضامة ، مما يدل على عدم الاهتمام بما قدم ..) .

ابن دانيال (منزعجا) : دنيا زاد . هل رايت ؟ طيف الخيال لم يعد يثيرهم كما كان ..

دنيا زاد : لقد اغضبتهم من غير شك ..

ابن دانيال : ابدا ..

دنيا زاد : .. او ان ملاحمك القديمة ما عادت تثير الناس . لقد حدثتك الف مرة يا ابي بان كل شيء قد تغير ، ويجب ان تراجع كل الحكايات والملاحم والقصص ..

ابن دانيال : فعلا ، انها في حاجة الى مراجعة ..

دنيا زاد : بل الى خلق ملاحم جديدة ..

ابن دانيال : دنيا زاد ! (ينظر اليها في خوف) أخاف من حماسك الزائد ! (تضحك) .

دنيا زاد : تحدثهم عن الابطال وانصاف الالهة .. لقد تغير الزمن يا أبي .. حدثهم عن الانسان البسيط . عن العامل الاجير . عن الفلاح وماسح الاحذية . دعني اخاطب الناس مكانك . انني احسّ عذابهم لانني منهم . اما انت فملك للماضي ..

ابن دانيال : افعلي ما شئت ، يا دنيا زاد ، ولكن احذري ! شيخوختي لا تحتمل « البهدلة » (تضحك) .

دنيا زاد (تنادي في الجمهور المنشغل عنها) :

ساداتي اقتربوا .. اقتربوا ..

ساحكي عن الملاحم الجديدة

عن حاملي المشاعل والبنادق

عن زارعي الزيتون والورد والبرتقال

عن سواعد ترفع للسماء غدا

وتهدم امسا

ملحمات الامس مضت وبدا في الافق فجر وليد

لقد مات نيرون وقيصر . رحل الابطال والغزاة والعظماء

ساداتي . نحن في عصر الفقراء ..

حمدان (في فرح) : الآن فقط تقولين شيئا ونفهم قولك !

سعدان : عمي الشيخ نحن ضيوفك الليلة ..

حمدان : .. نحن ضيوفك ..

ابن دانيال : اهلا وسهلا ..

رضوان : ترى اي شيء أعددت لنا ؟

ابن دانيال : آه . لست ادري . اسألوا دنيا زاد ..

دنيا زاد : لا . أنت الشيخ يا أبي . أنت من يكتب الحكايا والحوار ويرسم الصور . تكلم يا أبي !

ابن دانيال : ساحكي . ساحكي عن شاعر فقير يعيش مثلكم في اكواخ الخشب والقصدير . ساحكي عن ابن الرومي الجديد .. (تصفيق يدل على الاستحسان) .

ساداتي . امنحوني احداقا واسعة وسمعا مرهفا . فانا لست مؤرخا لا ولست معلم صبيان ، وعليه فان كل مشابهة مع التاريخ ان هي الا اتفاق ومحض مصادفة .. ابن الرومي الذي رسمته وقصصته بيدي ليس وليد بغداد التي تعرفون .. شاعر الليلة يا ساداتي قد يكون من باريز ، من روما ، من البيضاء ، او من وهران . قد يكون علي بن العباس او قد يكون الشاعر لوركا . قد يكون المجذوب او بابلو نيرودا . قد يكون من حيكم هذا . قد يكون أنت او أنت او أنت، من يدري ؟ قد يكون وقد يكون .. ساداتي نرحل الآن الى بغداد ـ الرمز .

سعدان : ومن البداية ..

حمدان : تبدا الرواية .. (ظلام تام) .

٥ ـ افتح الباب او لا افتحه ...

(بقعة يقف داخلها ابن الرومي . يقرا الشاعر حوارا مسرحيا من كتاب بين يديه)

ابن الرومي : ـ الواقفون كأصنام شمع ماذا تفعلون ؟

ـ نحدق في الشمس ..

ـ نقرا الالواح ..

ـ أخبروني اذن . هل تنفست الالواح بهمس ؟

هل تعرّت وانجلت بعد صد وهجران أمس ؟ (صمت ـ يغير لهجته) صمت تام ثم ظلام اسود حالك فستار

الختام .. انتهت المسرحية (يضع الكتاب جانبا) .

الف . لام . جيم . ياء . حروف ماذا تخفي ؟

هل افتح الباب او لا افتحه ؟ هل افتحه ؟ لست ادري .

آه لو كنت اقرا الرمل والكف

لانزع عن عيوني الاسيرة

حديد القيد والقفل

آه لو كنت عرّافا أو بحارا من فينيقيا

لارحل في احداق ساعة

اطوف الغد والآتي

ثم اعود بالنبأ

هل افتح الباب او لا افتحه ؟ هل افتحه ؟

يومك يا ابن الرومي لغز محير ، واحلامك يا ضيعتي رموز غامضة .. أحيا بين رمز ولغز . اخبروني من يفسر الرؤيا ؟ من يفسرها ؟ من يقرأ الاحرف المبهمة ؟ من ؟ الف . لام . جيم . ياء . حروف ماذا تعني ؟ لست أدري . لست أدري ..

(آلا من يريني غايتي قبل مذهبي
ومن أين والغايات بعد المذاهب ؟)

(يسمع طرق على باب وهمي) .

اشعب المغفل (وهو واقف عند الباب ينادي) : ابن الرومي . افتح الباب يا ابن الرومي ...

ابن الرومي : دائما انت يا اشعب المغفل .

اشعب المغفل : اسمي اشعب فقط .

ابن الرومي : واي شيء أتى بك يا اشعب .. فقط ؟

اشعب المغفل : جئت لزيارتك يا ابن الرومي .

ابن الرومي : وهل طلبت منك ذلك ؟

اشعب المغفل : الجواد يفرض اشياء عدة ، وزيارتي احد هذه الاشياء . زيارتك واجبة . خصوصا وانت على هذه الحال ..

ابن الرومي : أية حال تقصد ؟!

اشعب المغفل : حال المرض . شفاك الله وابقاك للحرف والجرس والكلمة . اسمع ، لقد صليت المغرب منذ حين ورفعت دعائي للسماء . دعوت لك بالشفاء .

ابن الرومي : يا الله ! أأكون مريضا ولا أعرف ذلك ؟ قل لي يا اشعب. من اتاك بهذا الخبر ؟ انه دعبل الاحدب . أليس كذلك ؟

اشعب المغفل : لا . وهل أنا من ينتظر حتى تأتيه الاخبار من غيره ؟ هل نسيت انني راديو الحي ولا فخر ؟

ابن الرومي : لم أنس ذلك . أخبرني يا اشعب . كيف اهتديت الى مرضي ؟

اشعب المغفل : الامر سهل . طبقت عليك درسا في المنطق ..

ابن الرومي : لم أفهم ..

اشعب المغفل : اسمع . لقد رأيتك تخرج من المارستان ...

ابن الرومي : شيء لم يحدث أبدا ..

اشعب المغفل : بل لقد حدث . نعم ، وكان ذلك في المنام . لقد رأيتك يا ابن الرومي . اسمع . المارستان لا يذهب اليه الا المرضى . هل تجادل في هذا ؟ طبعا لا . هذه اذن هي المقدمة . اتفقنا ؟ وانت يا سيدي ذهبت الى المارستان وهذا يعني طبعا انك مريض وهذه هي النتيجة . هيه . كيف تراني ؟ (في زهو وافتخار) .

ابن الرومي : كالرقعة في سراويل المهرجين ..

اشعب المغفل (فرحا) : وسميتموني ظلما ، اشعب المغفل . يا للجحود !

ابن الرومي : هل تدري يا اشعب العالم في المنطق والشعر والجبر ؟

اشعب المغفل (مكملا) : والميكانيك أيضا ..

ابن الرومي : اسمع يا اشعب . هل تدري اي شيء قال بشار ذلك الاعمى ؟

اشعب المغفل : نعم . قال الكون هباء
انا وحدي الموجود في لجة الظلمة ..

ابن الرومي : لا . بل قال هناك اعمى واعمى ..

اشعب المغفل : حقا ؟

ابن الرومي : نعم . يا فاتح العينين واعمى . عجبا . رايتني خارجا من المارستان فقلت عني مريض !

اشعب المغفل : انه المنطق يا ابن الرومي .

ابن الرومي : قل يا اشعب . وهل اذا رايتني خارجا من عرس تقول عني العريس ؟

اشعب المغفل : نعم . ثم آتيك مهنئا . هنيئا يا ابن الرومي . هنيئا

(يقترب منه ليعانقه فيدفعه الى الخلف) .

ابن الرومي : ابتعد . قل ايضا . وهل اذا رايتني خارجا من مقبرة ، تقول عني ميت ؟

اشعب المغفل : نعم ، ثم ابكي بكاء مرا وامشي في جنازتك (يخرج منديلا ليجفف دمعه) .

ابن الرومي : تمنيت لي الموت يا عدو السماء . اغرب عن وجهي يا لعين . اخرج (في غضب) .

اشعب المغفل : لا تغضب يا ابن الرومي . ففي خاطري الوف المعاني ولكن تهرب مني العبارة . انا عالم ، هل نسيت ؟ فاعذرني ان أخطأت التعبير ...

ابن الرومي : انت لا تحسن شيئا يا اشعب المغفل ، فاقترب لاعلمك المنطق . اقترب ..

اشعب المغفل (متراجعا الى الخلف في خوف) : علمني المنطق ولكن من بعيد . انني لست أصمّ .. (يخرج اشعب هاربا) .

ابن الرومي : اللعين . لقد عطلني عن الذهاب الى دار عمتي الرباب.. (ظلام تام).

٦ ـ عريب في زمن النخاسة الجديدة ..

(يغرق المنظر الخلفي في ظلام شبه تام . تتدلى من فوق شارات مختلفة الالوان . تظهر نساء ثلاث على يمين الجمهور وهن يفترشن الوساند . الاولى تكتب شيئا ، والثانية تعالج العزف على آلة العود ، والثالثة تطرز شعرا على منديل) .

حبابة (وهي تعالج الطرز) : بعد قليل يا عريب ستأتي «المعلمة»

عريب : لتأت ..

جوهرة : هذا يعني انك انهيت الكتابة ، فما اسعدك (وهي تحتضن عودا) .

حبابة : أما انا فما زلت في البدء أرسم الآيات والسور ..

جوهرة : وهذا الشعر رباه ما اصعبه ! لا استقام له وزن ولا لحن.

حبابة : وبعد قليل ستأتي « المعلمة » .

عريب : .. ستدخل كالعاصفة الحبلى بالشر الاصفر وتصيح ..

جوهرة (تقلد المعلمة) : هيه يا بنات خائبات . كيف حال الشغل ؟ بخير ؟ مريض ؟ أو الدوام لله . الشغل مات ؟ (لعريب) تعالي انت واقرئي ما كتبت ..

عريب : واقرأ ما كتبت .

جوهرة الممثلة : وانت يا حبابة . أريني ما صنعت ؟

حبابة : واريها ما صنعت .

جوهرة ـ م : وانت يا جوهرة الجوهرة . أسمعيني ما وضعت .

(تجيب نفسها بلهجة ثانية) وأسمعها ما وضعته .

(تستأنف التقليد ، بعجرفة) : اشياء رخيصة . عادية. مبتذلة . لم تختمر في الصدر اختمار الراح . عواطف خرساء وخيال أعرج مقصوص الجناح .

حبابة (وهي تضحك) حقا يا عريب ، انها اخت الشيطان ..

عريب : .. في الرضاعة (يضحكن) .

حبابة : قالت وهي تمضي وقد ركبت في وجهها حاجب الغضب..

جوهرة ـ م (تقلدها) : حبابة ..

حبابة : نعم مولاتي ؟

جوهرة ـ م : ان عدت واللحن لم يكتمل كسرت على راسك المزاهر . كسرت العيدان ..

عريب (لحبابة) : تاكدي انها سوف تفعل ..

حبابة : وكيف لا وفي عرفها اليابس ينساب الشيطان (يضحكن)

جوهرة (لعريب التي تكتب) : عريب ... أي كلام سوّدت على القرطاس ؟

جوهرة : أفي الصدر سر ثوى ؟

عريب : لا .

جوهرة : حبيب مثلا ؟

عريب : في الصدر كبريت وحطب .

جوهرة : قولي غير هذا ، أصدقك .

عريب : .. في الصدر جمر وبارود وغضب ..

حبابة : عريب . أنت قصر بلا أبواب ..

جوهرة : .. في الداخل اسرار وغموض وخوف وضباب ..

حبابة : .. من أجل هذا كرهتك المعلمة ..

جوهرة : .. وتقول عنك معاندة مشاكسة ..

عريب : وأقول عنها تاجرة تاجرة .

حبابة (خائفة) : عريب . دعينا من ذكر هذه المرأة واسمعينا عزفا على أوتار قلب طرب ..

جوهرة : اسمعينا ما كتبت ..

عريب (تقرأ) : أحبتي أعيروني السمع أهديكم حياتي فمالي في رسم أيامي غير الكلمات ..

جوهرة : لنصغ اليك ونسمع ..

حبابة : .. وليفرق الشمل ويفنى ..

الجميع : وليقع ما يقع .. (يضحكن) .

عريب (تقرأ في رقعة) : أنا عريب الجارية ..

حبابة وجوهرة (في نفس واحد) : أهلا وسهلا ..

عريب : ربوني في حقول تربية الغواني
علموني كيف أفرخ اللذة وأحيك الاغاني ..
رافصة كنت في بيكال
أتعرّى عبر الليال
تلسعني . تجلدني . تدفنني في عمقها عين الرجال
ممثلة كنت في برودواي
أموت في كل ليلة مرة
ثمني ؟! (تضحك في سخرية) التصفيق يوم أحسن الموت والعهارة
أموت وتنزل الستارة
عارضة للازياء كنت في باريز
تراني في الاسواق حافية القدمين عارية
وفي الملصقات والصور
تراني كالطواويس أختال في الالوان . الالوان الزاهية..
أنا عريب الجارية . يعرفني نخاسو بغداد والقاهرة ..
يعرفني السكارى في بيروت . ويعرفني السماسرة ..
(يسمع طرق شديد على الباب . يقف الجميع كالاصنام وقد انتابهن الخوف)

صوت خارجي (هو عبارة عن نداء) : عمتي الرباب . يا عمتي الرباب..

جوهرة : الباب يطرق ..

حبابة : .. والمعلمة أقسمت أن تبيعك لاول طارق .

جوهرة : عريب أختي ..

حبابة : .. أخيرا سنفترق ... (يتعانقن . ظلام تام) .

٧ ـ ابن الرومي يسأل ضيف الله ..

(بقعة ضوء في الجانب الآخر . نرى ابن الرومي وهو يقرع بابا وهميا وينادي : عمتي الرباب . يا عمتي الرباب) .

الرباب (وهي امرأة عجوز شمطاء ماكرة) : مهلا أيها الطارق مهلا (تخرج اليه) أنك تقرع بابا ...

ابن الرومي : أعرف ذلك .

الرباب : والباب من خشب . والخشب عند النجار . والنجار يريد مالا . وأين المال ؟ أين ، أين ؟

ابن الرومي : المال في جيبي . والجيب في جبتي . والجبة يا مولاتي تكسو أضلعا تهوى الجمال وتعشق الحسن ، فأين الحسن ؟ أين ؟ أين ؟

الرباب (تضحك في خبث) : وهل يكون الحسن الا في دار عمتك الرباب ؟ لقد سمعت عني بلا شك فاتيت معاملي. أنا من يصنع الجواري والقيان . اتقان وجودة ورقة في الاثمان .

ابن الرومي : عمتي الرباب ، يا من أنت أخت في الدين ، في الله ..

الرباب : نعم .

ابن الرومي : أطلب ضيف الله ..

الرباب : مرحبا بكما في قصر فقير متواضع الحال ..

ابن الرومي (في تعجب) : بكما !..

الرباب : نعم . أنت والمال .. (يضحكان) الا قل لي يا ابن أخي. هل في امكان عجوز شمطاء فقيرة مهذارة معرفة من أنت ؟ من عادتي أن لا أسأل هذا السؤال لان الناس عندي كالدنانير الصفراء . كلهم يتشابهون . ولكنك أنت لست مثلهم ، فمن أنت ؟

ابن الرومي : مولاتي . أنا اللوح والقرطاس . انا القلم ...

الرباب : لم أفهم بعد ..

ابن الرومي : .. أنا الزيت والفتيل . أنا السراج ..

الرباب : أنت السراج ؟!

ابن الرومي : أنا الليل والظلام . أنا العود والناي وهذا النغم ..

الرباب : أنت شاعر اذن ؟

ابن الرومي : أحيك الشعر من حرير الهند والسند
منوالي في النسج ان تسألي ، ضلوعي . وخيوطي رمش عيني ...

الرباب : أنت ابن الرومي عرفتك ..

ابن الرومي : .. أصباغ الطرز لو تعرفين
من سواد العين . من حمرة الدم . من خضرة القلب
أسهر الليل . كالعبّاد كالزهاد على نور شمعة
تقتات من جفني . من رمشي . من عيني وقلبي
مولاتي .. أنا من يصنع التيجان لاقلدها جيد الغواني الحسان والاقيان
مولاتي .. كالاسياد .. كالاحياء . كالناس في كل مكان
أريد صدرا دافئا يكون لحافا ووسادا
أريد نبضا وصوتا
أريد أنامل سحر ، تداعب أوتار العود وقلبي

الرباب : عمتي الرباب . أخبريني . هل ما أطلبه شيء كثير ؟ أبدا يا ابن عمي . فقد يعزّ التبر ويفلو ولكن أنت أغلى . قد يحلو الشهد وعزف العود والناي ولكن شعرك أحلى . أقول هذا الحكم وان كنت لا أفهم في الشعر شيئا ..

ابن الرومي : مولاي . مدحت اليوم سيداً من اعضاء المجلس البلدي فاعطاني صرة من ذهب ..

الرباب : من ذهب ؟!

ابن الرومي : .. فجئتك أبغي جارية .. جارية تتقن العزف والغناء والشعر و .. فن العشق ..

الرباب : عمتك الرباب تملك ما تريد (تفكر لحظة) هيه ؟ ما قول ابن عمي بي ابنة الروم حبابة ؟ جيد وحواجب وعيون أعمق من بحر الاوقيانوس ...

ابن الرومي : لا . العيون الزرق يا أمه الله تخيفني . انها البحر أخشاه وأخشى أغواره ..

الرباب : وأبنة العرب ؟ من عيونها ليل بألف نجم وألف قمر !

ابن الرومي (مرددا) : ألف نجم ؟ مولاي . وتنيّ أنا . أعبد النجم أصلي للقمر .. (يضحكان) .

الرباب : ولا تنس انها كالخنساء تنظم الشعر ..

ابن الرومي : يا لسعدي ..

الرباب : ولكن الثمن يا ابن الاروام ، غال ..

ابن الرومي : فليكن . متى كان للحسن ثمن ؟

الرباب : .. وتجيد الرقص كالطيف ، كالظل ، كسنبلة في مهب الرياح .

ابن الرومي : يا الله !

الرباب : .. ولكن الثمن ، وأعيدها ثانية ، عال وغال ..

ابن الرومي : ليكن . كنوز الارض والسماء لا تساوي بسمة حسناء .

الرباب : .. وكشهرزاد تجيد الكلام وسبك الحكايا ..

ابن الرومي : ما أقصر الليل وأسرع سيره في حضرة الشعر والعزف والرقص والرواية !

الرباب : ولكن ولكن ..

ابن الرومي (مكملا) : الثمن عال وغال . أعرف هذا يا أمه الله . يا من أكسبتك الحرفة ، حرفة بيع الجمال ، خبرة بنفوس الرجال ..

الرباب : ولا تنس النساء أيضا . يا لسعدي .. (يضحكان . ظلام تام) .

٨ ــ عريب والرحيل من بغداد الى بغداد ..

(يعود النور الى عريب وجوهرة وحبابة . نفس المنظر الذي تركناه منذ قليل) .

حبابة (وقد ركبت في وجهها لحية صوف . تتكلم كالرجال) : لا . لا غناء يا بنت الليل نريد ..

جوهرة (وعلى وجهها لحية صوف هي الاخرى) : بل نريد الغناء.

حبابة : جوهرة . عودي كما كنت من قبل ممثلة ...

جوهرة : بل لا شيء أحلى من حوار الوتر ..

حبابة : في اهاب هند ودعد وليلى تذوبين كالثلج ، كالنور ، كالغمام . تذوبين كالشمع في كل ليلة ..

جوهرة : عريب . كلميني شدوا واسمعيني لحن الفرح ..

عريب : عجبا . كيف يطرب من كان مثلي بقلب جريح ؟

حبابة : .. وكما في عين الحزين يرقص الدمع ويشدو ..

جوهرة : .. أرقصي يا عريب ..

حبابة : .. أرقصي هكذا ..

جوهرة : ارقصي .. (تشيرانها بشكل مسرحي لترقص على انغام الفلامنكو) .

حبابة : عريب . انت شعلة على حافة شمعة ..

عريب (بسخرية) : شمعة تحترق !

جوهرة : وهل كان الشمع الا ليحترق ؟! أرقصي ..

عريب (تصرخ بعنف فيتوقف المشهد) لا . لا . أبدا لن أعود

لهزّ الاكتاف . لن أعود .. لست منك . لست مني

لهزّ الاكتاف . لن أعود ..

لست منك . لست مني .

يا ارتعاشة في دم الارداف .

جوهرة ــ م (وهي تمثل دور رجل) : عجبا ، تردّ لي مطلبا حقيرا وأنا من أنا ! عريب . هل نسيت أنني أكبر المقاولين في بغداد ؟

عريب : ولكن ..

حبابة ــ م (وهي تمثل أيضا) وأنا هل نسيت مركزي في كل بغداد ؟

عريب : ما نسيت شيئا أبدا . أنت رئيس مجلسها البلدي ..

جوهرة ــ م : اعملي اذن يا امرأة ! وكوني كسائر الناس في بغداد . أمتصّ جهدهم ولا ينطقون .

حبابة ــ م : عريب ..

عريب : من تنادي ؟ اليوم يا سيدي ما عدت عريب الجارية . الآن فقط أعرف النور أتنفس

أولد ثانية .

جوهره ــ م : ولكن . من للعود بعدك يا عريب ؟

حبابة ــ م : .. من للحياة يحيلها بهجة وعرسا ؟

جوهرة ــ م : .. غدا يقول السكارى في كل حانات بغداد ..

حبابة ــ م : .. يا لغربة الكأس وضيعتها ..

جوهرة ــ م : .. يوم عريب ترحل عنه ..

عريب : أبدا يا خصومي وقضاتي . لن أصبّ الراح في الاقداح . لن أفعل ..

اليوم أدفن في قلبي وفي كبدي

رفات الليالي الملاح ...

جوهرة ــ م (لعريب) : يا ذات الخمار . تعالي تعالي ..

حبابة ــ م .. غربال الطحين لا يحجب نور السماء ..

عريب (تنزع عن وجهها حجابا وهميا) : لا . من اليوم لن تكون سهامي الحواجب . لن تكون العيون الا ان سألتم من أكون ...

جوهرة ــ م (في سخرية) : أنت امرأة ..

عريب : بل فتاة ، أنا محاربة ..

حبابة ــ م : كلام !

عريب : .. حربة غاضبة في جيوش الأمزون .. (جوهرة وحبابة تصفقان للمشهد المسرحي) .

جوهرة (وقد تخلت عن التمثيل) : حبابة . انها تمثل جيدا .

حبابة : وانت الا تمثلين كذلك ؟

عريب (تواصل التمثيل) : سأقطع نهدي الايمن بضربة حسام حتى لا يضايقني عند تسديد السهام (تسقط الى الارض وهي تصرخ بآخر جملة ــ تدخل الرباب) .

الرباب (تصفق استحسانا) : أحسنت يا عريب . أحسنت ..

عريب : من قبل لم أسمع منك شيئا مثل هذا ..

الرباب : كنت أراك بعين امرأة ..

عريب : والآن ؟

الرباب : أراك بعين الرجل ..

اسمعي يا عريب . لقد بعثك لشاعر بيض ذهبا وفضة ولكن ــ وهذا شيء يحدث دائما ــ اذا وقع شيء ــ لا سمح الله ــ فاعلمي أن قصري مفتوح يا ابنتي . اهربي منه وارجعي سرا اليّ ..

عريب : لتبيعيني من جديد . لا . تاكدي يا سيدتي انني لن اعود أبدا .. لن أعود .
(تخرج . تشيعها نظرات الجميع . ظلام) .

٩ ـ استراحة المخايل وطيف الخيال ..

(ابن دانيال داخل بقعة ضوء ضيقة . يمسك في يده صورا ورقية مقصوصة يحركها أمام الجمهور ..)
ابن دانيال : وبعد هذا يا ضيوف المخايل وعشاق طيف الخيال .. سار الشاعر الحزين وعريب خلفه (يحرك صورة ابن الرومي التي بين يديه تتبعها صورة عريب) .. سارا الى حيث لا نور لا مسك لا ريحان لا وسائد
سارا الى أكواخ الخشب والقصدير
الى حيث النور شموع والفرش حصير
وصل الشاعر . اغلق خلفه كل ثقب وباب ، وأقام أزمانا في حضرة الجارية فيام أهل النسك في المحراب
(يدخل عاشور وهو يجري . وعاشور هو أبلة الحي . انه طفل كبير يرتدي ثياب رعاة البقر ويمسك بيده مسدسا) .
عاشور : قفوا .. ولا يتحرك منكم أحد . ارفعوا أيديكم الى فوق . ارفعوها . اصطفوا واحدا وراء آخر . الاقصر في الاول والاطول في الاخير .. اسمعوا . من تحرك منكم يمنة أو يسرة فقد جنى على نفسه (يمتثلون له فيرفعون أيديهم) .
ابن دانيال : يا الله . انه نسخة أخرى من اشعب المغفل !
عاشور (لابن دانيال) : أوليمان ..
ابن دانيال : ماذا تقول ؟
عاشور : ارفع يديك الى السماء . أوليمان (يضحك) هكذا يقولون في السينما .. (لحمدان) أنت أيها الابله لماذا تضحك ؟ وأنت أيضا أيها الوقح (لسعدان) لِم تحييني بعينيك ؟ أنا لا اعرفك ولا أعرف اي أحد منكم . هل سمعتم ؟ في السينما لا يضحكون . لا يثرثرون مثلكم . لا يتعارفون لانه ليس لديهم وقت لذلك ..
سعدان : عاشور .. اسمع أيها الطفل الكبير ..
حمدان : .. لقد اعترفنا لك بالقوة ..
رضوان : .. وبالشجاعة أيضا ..
سعدان : .. فماذا تريد أكثر من هذا ؟ ماذا تريد ؟
عاشور : اسمعوا . انني أخيركم بين شيئين : المال أو الحياة ؟
رضوان : نريد الحياة طبعا !
عاشور : اذن هاتوا المال وبسرعة ..
سعدان : جئت متأخرا يا عاشور ..
عاشور : ماذا أسمع ؟
رضوان : لقد اعطينا كل شيء ..
حمدان : أعطينا العرق والجهد .. اعطينا كل شيء ..
عاشور : ومن يكون هذا المتجبر الذي حرمني رزقي ورزق عيالي ؟ انت يا سعدان . أجبني عن سؤالي ..
سعدان : انه القدم يا عاشور .
عاشور : تقصد الشريف ؟
سعدان : سمه كما تشاء .
عاشور : وهل يملك مسدسا مثل هذا ؟
حمدان : يملك مخزنا للسلاح .
عاشور : و ... هل جاء مثلي من ويستيرن سيدي عمرو ؟
رضوان : جاء من ويستيرن المتخمين ..
عاشور : ولكنه لا يلبس السروال والقميص كما في السينما . ثم ما دخل العمامة ؟ ولِمَ لا يمضغ الشوينكوم ، ويشرب الجعة ؟ اللعين ! لقد هددكم اذن والمسدس في يده ؟ هل تعلمون انه ليس من حقه أن يزاحمني في وظيفتي ؟ انه يمثل القانون . هل تعلمون هذا ؟ وليس من حق الذئب أن يرتدي لباس الراعي . انه (الشريف) وظيفته أن يحميكم مني ومن أمثالي . اقترب أنت يا رضوان وأخبرني : هل طالبكم بشيء ؟
رضوان : نعم . بالافراغ أو الموت .
عاشور : ولكن ما معنى الافراغ ؟
سعدان : نوع آخر من الموت .
عاشور : لم أفهم ..
حمدان : الاغبياء مثلك لا يفهمون ..
سعدان : لان التفكير لا يصدر عن العضلات ..
عاشور : دعوا أيديكم مرفوعة الى فوق . سارجع حينا . ساصفي بعض الحسابات وأرجع (يخرج) .
رضوان (وقد أنزلوا أيديهم) : لتذهب الى الشيطان ! لقد أتعبتنا بلعبتك التي لا تنتهي ..
سعدان : لنعد الى طيف الخيال وابن الرومي ..
ابن دانيال : دنيا زاد ، أوقدي السراج ..
دنيا زاد : سافعل يا أبي ..
رضوان : ولترقص الظلال من جديد ...
حمدان : ويعود الدفء للستارة ..
ابن دانيال : نحن الان ، أيها السادة ، في ساحة من احياء بغداد الفقيرة .. مضى وقت غير محدد ، قد يكون يوما أو بعض يوم . من يدري ؟ المهم اننا الآن بقرب دار ابن الرومي ..
(موسيقى انتقالية ـ ظلام ثم اضاءة)

١٠ ـ مع جيران ابن الرومي ..

(يعود الضوء فيتحول المنظر الى ساحة عامة تحيط بها مجموعة من الدكاكين الصغيرة . نرى دعبل الاحدب داخل دكان صغير جدا وهو يبيع العطر والمناديل . نرى عيسى البخيل وهو اسكافي عجوز ، والى جواره دكان جحظة وهو حلاق مولع بالغناء . يقف جحظة على راس زبون ركبت في قفاه فوادير معدنية . والى أقصى اليمين يمكن مشاهدة باب عتيق هو باب دار ابن الرومي) .
جحظة المغني (يغني وهو يشتغل) : يا حبيبا اخشى الموت وعتبه
يبيعني بفلس يا لنحسي
واشتري بالملايين قربه .
دعبل الاحدب (من دكانه وهو يضحك) : باعك غاليا يا جحظة . بفلس ؟ انني أشفق عليه ، لقد خربت بيته ..
جحظة المغني : من تقصد يا دعبل الاحدب ؟
عيسى البخيل : يقصد من باعك طبعا . وهل هناك غيره ؟
دعبل ـ ح : لا يا عيسى البخيل . بل من اشتراه ...
جحظة ـ م : المهم عندي من باعني . هل تفهم ؟ من اسلمني للغير بدون دمع ثم راح ..
عيسى ـ ب (وهو يضحك) : لا . من باعك يا جحظة أخذ الفلس ثم استراح . استراح من غنائك ومن خلقتك الكريمة .
(يضحك الجميع) الا تعرف الصمت ولو لحظة واحدة ؟

جحظة ـ م : وهل أنا الا حلاق وابن حلاق ؟
دعبل ـ ح : وهذا الفناء الـذي لا يطرب ، ألا تعفينا من سماعه ؟ انظر . أن آنحي فارغ . فارغ من الانس والطير والجان. لا أحد يقترب من الحي . لا أحد . هل تساءلت يومـا لماذا ؟ هل حلّ بنا الطاعون حتى يهرب الكل منا ؟
عيسى ـ ب : حلّ بنا ما هو أفظع ..
جحظة ـ م : ماذا تقصد ؟
عيسى ـ ب : غناؤك طبعا ، يا جحظة المغني رغم أنف الزمن والغناء . نسألك الستر يا الله .
جحظة ـ م : أنتم واهمون . نعم . انظروا . هذا رجل كريم جاءني من مطلع الفجر . هـل تساءلتم أي شيء أتى به ؟.. أرجوكم لا تسألوني أنا واسألـوه هو . اسألوه .. (في ثقة بنفسه . يقترب الجميع من دكانه) .
دعبل ـ ح : نسأله . تعالوا . (للرجل) يا سيدي يريـد رأيك ـ طبعا بكل صراحة وتجرد ـ في صوت هذا الرجل . هل اتفقنا ؟ (الرجل ينظر اليهم من غير أن يجيب) أنه لا يجيب . ينظر اليّ وكأنني أكلمه بلغة أهل الجن.. يرمقني بنظرة غريبة . تراني قلت كلاما في غير محله ؟ (أخيرا يجيب الزبون ولكـن عن طريق الاشارة فقط ، مما يدل على انه أخرس . ينفجر الجميع ضاحكين الا جحظة الذي تبدو عليه الخيبة) .
عيسى ـ ب : انه أخرس يا جحظة وأصمّ أيضا ..
جحظة ـ م : من سوء حظي . من الفجر وأنا أهـدهده كالاطفـال المخنثين . ظننت سحر غنـائي أخـرس لسانه .. الملعون .. (يسمع من بعيد صوت المنادي يصيـح ، فيكفون عن الضحك) .
دعبل ـ ح : هل تسمعون ؟ انه المنادي . لا شك أن في الامر جديدا.
عيسى ـ ب : ترى أي شيء يقول ذلك العجوز الابله ؟
جحظة ـ م : سنعرف ذلك عندما يأتي أشعب المغفل ..
دعبل ـ ح : انه يقول ـ والله أعلم طبعا ـ أن الفصور والعبيـد والجواري والخصيان . كل شيء سيفنى ..
عيسى ـ ب : هذا شيء نعرفه .
دعبل ـ ح : .. كأنه لا كان ولا حبلت به أزمان ..
جحظة ـ م : عجبا .. حلم الاعيان خلود وحـلم ذوي الفقر قيـام القيامة ..
عيسى ـ ب : لان الحياة تفرق والموت مساواة ..
جحظة ـ م : يقول المغني ، غدا ستلقى بغداد مصير مدينة النحـاس وارم ذات العماد .. غدا تصبح أسطورة على ألسنـة المداحين والمنشدين (ويتحول المنظر الى محكمـة . الدقات التقليدية في المحاكمات) .
دعبل ـ ح (ينادي) : محكمة !
جحظة ـ م (ينادي) : عيسى البخيل ...
عيسى ـ ب : عيسى الاسكافي يا سيدي ..
جحظة ـ م : الصمت .. تقدم الينا في ذل العاصين والخطاة .. انزع حذاءك المخرق وامش حافيا . انزع عمامتك أيضا .
عيسى ـ ب : دعوني . لست مستعدا للعب ..
جحظة ـ م : لقد نفخ في الصور وأقيم الميزان فهات ما لديك ..
دعبل ـ ح : عيسى البخيل ..
عيسى ـ ح : قلنا الاسكافي ، ألا تسمع ؟
جحظة ـ م : كنـزت الذهب في أحشاء الصندوق ..
دعبل ـ ح : .. حرمت ارواحا وأسماعا من رؤية الدينار ورنة الدرهم.
عيسى ـ ب : يا الله .. فما الفرق بين الفقر والبخل ؟
جحظة ـ م : بخيل وكذاب أيضا ..
دعبل ـ ح : .. كل العيون في واحد .. استمر .
عيسى ـ ب : فقير أنا ، صدقوني . لا أملك غير القميص والنعل !
جحظة ـ م : والصندوق يا عيسى ؟
عيسى ـ ب : ليس فيه غير مسك وعنبر ، ودريهمات تكفي غسـلي ودفني يوم الممات ..
دعبل ـ ح : وشهادة ابن الرومي ؟
عيسى ـ ب : انها رجم بالغيب . صدقوني .
جحظة ـ م : يكذب في حضرة الملائكة .. اللعين . (يدخل أشعب المغفل وهو يجري . يتوقف مشهد المحاكمة) .
دعبل ـ ح : أشعب المغفل . اقترب . ماذا وراءك ؟
جحظة ـ م : أنت لا تأتي بدون خبر ..
أشعب المغفل : جئتكم بخبر مهم ولكنني متردد .. لا تقاطعني . الخبر في مخيلتي ولكن هل أقوله شعرا أم أقوله نثـرا ؟ أخبروني ..
جحظة ـ م : قله نثرا . فذلك أحسن .
أشعب ـ م : بامكاني أن أقوله شعرا ..
الجميع (في نفس واحد) : نعرف ذلك .
أشعب ـ م : أخبروني أيضا . هل أقوله واقفا كالخطباء ، أم جالسـا كالعلماء ؟
دعبل ـ ح : قله وأنت طائر في الهواء .
أشعب ـ م : بامكاني ذلك أيضا ..
الجميع (في نفس واحد) : نعرف ذلك ..
أشعب ـ م : أخبروني ، هل أقوله بالعربية أم بلغة الفرس ؟
عيسى ـ ب : قله بلغة أهل المريخ أحسن ..
أشعب ـ م : بامكاني أن أفعل .
الجميع : نعرف ذلك .
جحظة ـ م : والآن . أين الخبر ؟
أشعب ـ م : نسيته ! ذكروني به لاعيده عليكم ...
جحظة ـ م : تريد أن تتذكر ! اقترب اذن . اقترب .. (يقتربون منه)
دعبل ـ ح : .. ستنعش ذاكرتك المتعبة ..
عيسى ـ ب : .. اقترب .
أشعب ـ م : ولكن من بعيد . (متراجعا الى الخلف) انـني لست أصمّ (يهرب فيجرون خلفه) .
جحظة ـ م : لنرجع الى المحاكمة !
عيسى ـ ب : لنعد لدعبل الاحدب .. لمن يحمل في ظهره جبل الاطلس والاوراس .
جحظة ـ م : ترى أي جواب أعدّ
عيسى ـ ب : .. يوم الملاك يسأله : لِمْ على الشاعر الحزين تعدى ؟
جحظة ـ م : أما وجدت غير هذا المكان ؟..
عيسى ـ ب : لتفتح هذا القفص الذي أسميته « دكانا » ..
جحظة ـ م : وتبيع المسك والعطر والكحل للغواني الحسان ؟
عيسى ـ ب : أنت يا عديم الحسن تبيع الحسن ؟
جحظة ـ م : .. فمتى هذا المسخ كان (يضحكون) متى ؟!
عيسى ـ ب : أما علمت يا دعبل الاحدب ان كل متاعب ابن الرومـي جاءت من ظهرك المنورم ؟
جحظة ـ م : .. وفقر بغداد . وسنوات الجفاف والجراد ..
عيسى ـ ب : كل شيء منك تفجر .. يا شؤم بغداد ؟
دعبل ـ ح : لا . الشؤم كلام يا أهل هذا الحي والنحس خرافة .. مثلكم أنا مثل كل الصعاليك ضحية .
فكيف اذن أكون الجلاد ؟ كيف أكون ؟
كيف يا ملائكة الرحمان تفرخ حدبتي نحس بغداد ؟
كيف ؟ ودعبل الاحدب قد تكوّن في رحم هزيل ..

هدّه الجوع والفقر والمرض
حدثني ورثتها عن بغداد التي وزعت وما أنصفت .
أعطت غيرنا النور في صحون من ضياء
وأعطت بني الاصفار دوائر القيد والمشانق والاصفار
لست شؤما على بغداد وانما هي بغداد شؤم عليّ
شؤم على الحول والعور والجدب والصعاليك والخصيان

عيسى ـ ب : وشهادة ابن الرومي ؟

دعبل ـ ح : سامحه الله .

جحظة ـ م : وقوله الخالد عبر امتداد الزمن ؟

دعبل ـ ح : انه لا شيء . يعيش بعيدا هنا وهو بيننا . لم ير بغداد الا من ثقب المفتاح . انه لا يغادر بيته أبدا ، فكيف يعرفني كيف يعرفك ؟ كيف يعرف هنا شيئا ؟

جحظة ـ م : رفعت الجلسة الى أجل غير معلوم (يعودون الى دكاكينهم . تخفت الانارة . ظلام) .

١١ ـ ابن الرومي يفتح الباب ..

(يفرق المنظر الخلفي داخل بقعة مظلمة . تتحرك الى الامام قطع سينوغرافية تمثل دار ابن الرومي . يسمع طرق شديد على الباب)

الخادم يا زمان (واقفا بالباب ومعه رجلان) : افتح الباب يا ابن الرومي . نقد جئتك بالسعد .

ابن الرومي : أفتح الباب ؟ ولكن من أنت ؟

خ. يا زمان : انا شيخ التجار في بغداد . أما عرفتني ؟

ابن الرومي : سفيان بن مروان ؟

خ. يا زمان : هو بعينه . افتح الباب (يفتح بابا وهميا . يدخل الخادم والحارسان) أخيرا .. قد تفتح السماء أبوابها ولكن أبوابك يا ابن الرومي مقفلة أبدا كالاسرار .

ابن الرومي : ولكن أين شيخ التجار ؟

خ. يا زمان : اسأل عنه في السوق .

ابن الرومي : خدعتني اذن ؟

خ. يا زمان : وما حيلتي .. اسمع يا ابن الرومي . لست شيخا ولا نخاسا ولكنني أملك لك النفع . هل نسيت انني الخادم الذي لم تجد بمثله الازمان ؟

الرجل ـ ١ : من أجل هذا سماه الناس الخادم يا زمان .

ابن الرومي : أعرف ذلك . ولكن لِمَ تصرّ دائما على الكذب ؟

خ. يا زمان : لماذا ؟ أخبره يا سيدي العزيز ..

الرجل ـ ٢ : لانه مفتاح الاقفال الصدئة .

خ. يا زمان : اخبرني . هل كنت تفتح الباب ـ وبهذه السرعة ـ لولا الكذب ؟ طبعا لا . انني أعرفك أيها القفل الصدىء . من هنا تدرك يا سيدي انه لا شيء يفتح الابواب ...

الرجل ـ ١ : .. وبسرعة ...

الرجل ـ ٢ : .. الا الكذب !

خ. يا زمان : وأنت أيها الشاعر الفقير عاطل من هذا الحلي . تحضر حفلا تتكريا من غير قناع . قبل الدخول في اللعبة ؟ يجب أولا معرفة القواعد . كن مثلي . أكذب ثم أكون أول من يصدقني ..

ابن الرومي : .. وهذا منتهى الغباء .

خ. يا زمان : قد يكون ذلك حقا ، ولكن في روايتك انت ..

الرجل ـ ١ : .. أما في رواية أخرى ..

خ. يا زمان : .. فهو الدقة في الصنعة . نعم . انني أخلط الحقيقي بالزائف . أكون كالصائغ اليهودي . من يحول الاصفر الى ذهب ثم بعد ذلك يستحيل التمييز بينهما . ليس فقط على الناس بل على الصائغ أيضا .. (يضحك) كن مثلي يا ابن الرومي . اشتغلت أول مرة عند سمسار ...

الرجل ـ ١ : .. سمسار حقير يجيد الرقص كالبهلوان على الحبال ، كل الحبال . ويتقن صناعة الحرف المزيف ...

خ. يا زمان : .. كان يتقن كل شيء ويبيع كل شيء . الاخلاق ، الضمائر ، المبادىء ، القرى والمدن والناس والخيل والزرع .. طرقت بابه يوما أسأل شغلا .. (يقلد السمسار . ينظر الى ابن الرومي على اعتبار انه هو من جاء يطلب شغلا) الاختبار قبل العمل . هل اتفقنا ؟ اليك السؤال اذن .. هل تجيد الكذب يا ولدي ؟

ابن الرومي : لا ..

خ. يا زمان (وهو يقلد السمسار) : خسرت في الامتحان . ابتعد وليات غيرك .. (يستعيد لهجته) وعدت اليه ثانية بعد ان قبلت الشرط ، وصرت أكذب ، ليس فقط على الناس بل عليه ايضا .

الرجل ـ ١ (يقلد السمسار وهو في حالة غضب) : لا انت فهمتني خطأ . اسمع . حقا أريدك أن تكذب ولكن لحسابي ، لا على حسابي أيها المغفل . هل تفهم ؟ (ينظر اليه بتمعن) لست متأكدا بعد من فهمك . اسمع يا ولد . سنردد أمامي ألف مرة هذه الجملة . قل معي . لن أكذب أبدا الا لحسابك يا معلمي وسيدي .. قل ...

خ. يا زمان : أما الآن فقد أصبحت خادما لرئيس المجلس البلدي . أتولى تسيير شؤونه المالية والعاطفية ايضا . لقد جئتك منذ أيام يا ابن الرومي . هل تذكر ؟

ابن الرومي : نعم . ونقلت اليّ منحة مهمة .

الرجل ـ ٢ : لقد أخذت يا ابن الرومي ...

خ. يا زمان : .. وجاء دورك في العطاء ..

ابن الرومي : ليس لي غير الكلمات ..

خ. يا زمان : ... وسيدي لا يريد غيرها . فتجارته شراء الاصوات والكلمات وفي بعض الاحيان يشتري الصمت أيضا ..

الرجل ـ ٢ : .. وقد يكون الصمت اغلى من كل الكلمات ..

ابن الرومي (لنفسه) عجبا يا ابن الرومي ! عشت وها أنت ترى . أحتى الصمت يا سادتي يشترى ؟!

خ. يا زمان : اسمع يا ابن الرومي . من عادتي أن آتيك وحدي ولكنني هذه المرة لم أفعل ، فهل تساءلت عن السبب ؟ ما أظنك الا فعلت ذلك . نعم . فأنت بئر بلا قرار . عيونك مفتوحة الى الداخل . لقد اتخذ المجلس البلدي قرارا عرفته كل أحياء بغداد . فهذا يعقوب المنادي (مشيرا للرجل الاول) نادى به في الاسواق والدروب بصوت جهير . وهذا اسحاق مقدم الحي سيعمل على تنفيذ القرار .. يعقوب المنادي . اقرأ عليه القرار ...

المنادي : حاضر .. (ينادي بأعلى صوته) يا أهل حي الصفيح . من كان منكم حاضرا فليسمع . ومن كان غائبا ...

ابن الرومي : يا سيد يعقوب المنادي . تكلم بالهمس . انني لست أخرس . انك الآن في دار ولست في سوق ..

المنادي : اعذر . انني لا أستطيع أن أقرأ الا بهذه الطريقة . قبح الله العادة !

خ. يا زمان : .. المهم يا ابن الرومي ان المجلس البلدي قد اتخذ قرارا بهدم هذا الحي ... لا تنزعج على بيتك . سيكون لك ما هو أحسن . نعم . لقد فكروا فيك جيدا . ستتحول هذه الاكواخ الحقيرة الى مركب

سياحي ضخم يأتيه السواح الاغنياء من نيسابور وجرجان وفاس وصقلية . ستمطره آلوان من العملة الآتية من اركاديا وفينيقيا وقرطاج ، هل تعلم ؟ ان المجلس البلدي لا يطلب منك شيئا كثيرا . نعم لا شيء غير ابيات من الشعر . ابيات تصور الحي الحقير وأهله . أنت تؤمن بالشؤم . أليس كذلك ؟ تؤمن بأن متاعبك آتية من هذه الاكواخ الوسخة . من دعبل الاحدب ، من جحظة المغني ، من عيسى البخيل ، من اشعب المغفل . من كل الصعاليك والمشردين . هذه فرصتك يا ابن الرومي للتخلص ـ والى الابد ـ من شؤم هذا الحي ونحسه ..

المنادي : .. اكتب شعرا يا ابن الرومي في متاعبك واذكر اسبابها ..

المقدم : ولك من المجلس الموقر كل ما تبغي ..

خ. يا زمان : .. سنمضي الآن يا ابن الرومي (يهم بالانصراف) .

ابن الرومي : انتظر . ولكن من يضمن لي صحة قولك ؟ ألا تكون هذه المرة ايضا ....

خ. يا زمان : كاذبا ؟ لا (يضحك) انني اكذب حقا ولكن ليس على الفقراء . انني أطلب دائما ثمنا لمجهودي في الكذب . وماذا يمكن أن استفيد منك أنت ؟ لا شيء طبعا . (يضحك في دهاء . يخرجون تشيعهم نظرات ابن الرومي . تخفت الانارة . ظلام) .

١٢ ـ عجبي لك يا مالك الشمس ..

(يعود منظر الساحة وتعود معه الدكاكين الصغيرة . جحظة المغني ما زال واقفا عند رأس الزبون الابكم والقوارير المعدنية ما زالت كما كانت أيضا في قفاه . يحتج الزبون الابكم من خلال مجموعة من الاصوات والحركات . دعبل الاحدب وعيسى البخيل يراقبان المنظر من بعيد وهما يضحكان) .

عيسى ـ ب : يكفي يا جحظة . الرجل يكاد ينطق ..

جحظة ـ م : لينطق اذا شاء ..

دعبل ـ ح : .. انه يغلي غضبا ..

جحظة ـ م : غضبه يدل على انه لم يشف بعد ..

عيسى ـ ب : ماذا تقصد ؟

جحظة ـ م : هل تعلمون ان تضخم الدم هو أصل الغضب ؟ وان خير وسيلة للقضاء على غضب الرجل هو امتصاص دمه الفاسد ؟ انني لن اتركه أبدا الا بعد أن يتحول جمره رمادا . وان يصبح كالحمل وداعة ورقة ..

دعبل ـ ح : ولكن ... ألا ترى ان جلسة الرجل قد طالت اكثر مما يلزم ؟

جحظة ـ م : العبرة في النتائج . أما الوقت فشيء ثانوي ، خصوصا بالنسبة لرجل تاوه مثله .

(يدخل اشعب المغفل وهو يجري كعادته)

اشعب المغفل (يصرخ) وجدتها .. وجدتها .. وجدتها ..

عيسى ـ ب : ماذا وجدت يا اشعب المغفل ؟ تكلم ..

اشعب ـ م : لن اجيب يا سيدي العاقل . اسحب اولا كلمة المغفل ..

عيسى ـ ب : تكلم . لقد سحبتها يا اشعب .. فقط .

اشعب ـ م : اسمعوا جيدا . لقد وجدت الخبر الذي حدثتكم عنه ..

دعبل ـ ح : أخيرا . حدثنا اذن يا اشعب من البداية (يتحلق الجميع حوله) .

اشعب ـ م : قلت يا أهل بغداد من ذوي العقل والرأي والسداد . سمعت بأذني هذه وأذني أمينة ..

الجميع (في نفس واحد) : نعرف ذلك ..

اشعب ـ م : .. ان ابن الرومي ـ رعاه الله ـ مدح سيدا (مستفسرا عما فاله) هيه . ماذا قلت ؟

الجميع (في نفس واحد) : ابن الرومي مدح سيدا .

اشعب ـ م : .. ثم رحل الى دار الرباب ، معلمة الجواري .. ماذا قلت ؟

عيسى ـ ب : رحل الى دار الرباب ...

اشعب ـ م : نعم . طرق الباب طبعا ..

دعبل ـ ح : .. وجاء من يفتح ..

جحظة ـ م : .. دخل ابن الرومي ..

عيسى ـ ب : .. وقال للرباب .. ماذا قال يا اشعب ؟

اشعب م : بيعيني جارية . ماذا قلت ؟

دعبل ـ ح : أكمل بسرعة ، باعتك الجن والشياطين .

أشعب ـ م : سأغضب حتما يا دعبل ..

دعبل ـ ح : نعم ، ولكن ليس قبل أن تتم الحديث ..

أشعب ـ م : .. فباعته سلطانة الحسن . عريب الجارية ...

دعبل ـ : باعته « عريب » ؟! أيعقل هذا يا اشعب ؟!

اشعب ـ م : ولِمَ لا ؟ لقد قلتها دائما وما صدقتم . الشاعر أقدامه في التراب مثلنا ولكن رأسه في السحاب .

دعبل ـ ح : من أجل هذا اذن ، أقفل الباب خلفه .

جحظة ـ م : الملعون . وأنا من تصورته كل صباح ينهض من فراشه . يلبس أثوابه ثم يطل على بغداد من ثقب المفتاح .

عيسى ـ ب : ومن الثقب يا جحظة ماذا يرى الشاعر ؟

جحظة ـ م : ماذا يمكن أن يرى غير دعبل الاحدب القاعد صبح مساء بلا بيع ولا شراء ؟

دعبل ـ ح : أما أنا فقد تصورته يا رفقتي يقوم كل صبح وفي عينيه حلم أخضر . يترك الوساد وعلى شفاهه بقايا ابتسام الاحلام . يقوم الشاعر وفي قلبه شوق الى بغداد فيكون أول شيء يسمعه هو صوت جحظة . فيعود المسكين الى فراشه . يخلع ملابسه وفي قلبه خوف من يوم نحس ... أعوذ بالله من يوم غرته صوت جحظة . ثم يتلو القرآن ويعلق التمائم ويقرأ اللطيف.. يا لطيف. يا لطيف . يا لطيف . (يضحكون) .

جحظة ـ م : لا . ابن الرومي يستعذب صوتي والحاني . فقل غير هذا نصدقك .

دعبل ـ ح : ما رأيت غير الذي رويت ..

جحظة ـ م : .. كلما غنيته رماني بالزهر والورد والريحان ..

دعبل ـ ح : اقترب اذن من بابه وغنّ ، وسترى ان كان سيرميك بالطوب أو بالرمان .

جحظة ـ م : سأفعل لتعرف انك على خطأ يا دعبل .. (يقترب من الباب . يتهيأ للغناء) اسمع .

يا حبيبا اخشى الموت وعتبه
يبيعني بفلس يا لنحسي
واشتري بالملايين قربه

(تسقط من فوقه مزهرية وبعض الاشياء الاخرى . يضحك الجميع لذلك) .

ابن الرومي (من خلف الباب) : من الذي يبكي ؟ من ينتحب ؟

جحظة ـ م : أنا لا أبكي ولا أنتحب ..

ابن الرومي : وماذا تفعل اذن ؟

جحظة ـ م : انني للمبعد عني أغني ..

ابن الرومي : عجبا ؟!

جحظة ـ م : ارجع الصوت بلحن طرب
هذا لحني ذقه ولكن في خشوع وانتباه
هذا لحني ذقه وكبّر وكبر
وصعّد ملايين آه ..

ابن الرومي : آه على حظي التعس !

جحظة ـ م : آه يا ابن الارواح !

ابن الرومي : ماذا أيضا ؟

جحظة ـ م : .. لو تراني عاريا اغني تحت قبة الحمام

ابن الرومي : احتشم يا صعلوك بغداد .

جحظة ـ م : احتشم ؟! وهل قلت عيبا ؟ اخبروني أعزّكم الله .

عيسى ـ ب (ضاحكا) : أبدا .

جحظة ـ م : .. أو تراني حللت ما كان يوما حراما ؟ قلت يا ابن الرومي . تمنيت لو ان المهندسين من ادم ذات العماد ـ شدوا الرحال ـ يمموا بغداد .
واقاموا سقفا عظيما يحجب الارض والعباد

ابن الرومي : لتصبح بغداد غير بغداد . تتحول من اجل عينيك الى حمام ؟

جحظة ـ م : نعم يا ابن الارواح ...

ابن الرومي : احتشم يا رجل . احتشم . انت ترهق سمعي وسمع التعساء بهذا الشيء الذي تسميه غناء .. اسمع يا جحظة ! يا مغني الحمام . هذا الخلق الذي ترى يريد أن يرتاح . يريد أن ينام ...

جحظة ـ م : من عنده عريب لا ينام ..

ابن الرومي : عريب ؟! (ملتفتا الى الشعب) هل قلت شيئا يا راديو الحي ؟.. لقد اخبرتهم بكل شيء . اقرأ ذلك في عيونك.

جحظة ـ م : كيف تغفو يا عديم القلب ؟ كيف تغفو ؟

ابن الرومي : كيف أغفو ؟! (تحيط به المجموعة من كل جانب)

جحظة ـ م : ... وعريب احلى من جنيات الاحلام والخيال .

المجموعة (تغني بصوت واحد) : عجبي لك يا مالك الشمس
تغمض الجفن وتغفو
والناس في عرس

ابن الرومي : كيف أغفو يا رفاق الدرب ؟
وعريب سكناي والليل لبي ؟

المجموعة (تغني) : عجبي لك يا مالك الشمس
تغمض العين وتغفو
والناس في عرس

دعبل ـ ح : من بيته السماء وعريب الثريا ..

عيسى ـ ب : .. أبدا لا تغفو عينه ..

جحظة ـ م : .. ولا يعرف غفوة .

المجموعة (تغني) : عجبي لك يا مالك الشمس
تغمض الجفن وتغفو
والناس في عرس

عيسى ـ ب : كيف تذكر النوم ودنياه ؟

دعبل ـ ح : .. وهو شقيق الموت والرمس ؟

جحظة ـ م : كيف تذكره ؟..

المجموعة (تغني) : عجبي لك يا مالك الشمس
تغمض الجفن وتغفو
والناس في عرس

جحظة ـ م : العمر يا سلطان العاشقين شمعة ..

دعبل ـ ح : .. وهل تضيء الشمعة اكثر من مرة ؟ (تتسلل المجموعة من غير ان يشعر بها ابن الرومي . تخرج وهي تردد اللازمة : عجبي لك ... يبقى الشاعر وحده وهو جالس في وضع الصلاة . ينسحب النور عن المنظر الخلفي) .

ابن الرومي (يكلم نفسه) : سامحك الله يا ابن الرومي . لقد ظلمته . ظلمت جحظة المغني . من قبل لم أكن أدري ان صوته يقطر زهرا وشهدا . وساعتها لم تكن عريب صوتا ولحنا . لم يكن يتغنى بمن تكسب الصوت ظلا (يتثاءب) .

١٣ ـ عريب الحلم تصبح أربعة ..

(تضاء ستارة خيال الظل ، فنشاهد ظل رجل في مثل وضع ابن الرومي تماما ..)

ابن دانيال (معلقا على الصورة الظلية والى جواره دنيا زاد) : سادتي .. راحة الجبران ضعوها فوق العين والرأس ـ الشاعر يا اخوته ورفاقه ـ أسلم للنوم قياده. فاحذروا سادتي . فقد يفيق فتفسد أحلامه ..

دنيا زاد : ابي . ماذا تفعل ؟ أما انتهينا بعد من الاحلام ؟

ابن دانيال : وما ذنبي أنا ، اذا كان هذا طبع الشعراء ؟
اطمئني يا ابنتي . سأغير خط سير الرواية ولكن ليس الآن (يختفي خيال الظل) .

ابن الرومي (داخل بقعة ضوء كما تركناه) (يتثاءب) : يا الله . النجم يبرق في الاحداق . ماذا أرى ؟ قصور بغداد تفقد ثقلها . انها تطير .. تطير .. فقدت احجامها أيضا . اصبحت لعبا صغيرة يتقاذفها الاطفال. يفككونها. انها من ورق . من ورق . يا الله ! انهم يعيدون تركيبها من جديد . لقد جعلوا منها أكواخا جميلة .. جوارحي لم تعد مني . لقد تخلت عني هي أيضا . أصبحت شفافا كفيمة . تخترقني الفراشات والطيور .. ماذا أرى ؟ (ينظر حوله) نبتت لي ملايين الاجنحة وظهرت في وجهي الاف الاعين .. انني أرى كل الامكنة . أرى كل الناس . أرى الفراشات والطيور .. يا لله ! حتى النجوم تطير أيضا . لقد اصبحت لها أجنحة وردية . ابسط كفي لتمتلىء نجوما وأقمارا وورودا .. و (يطارد فراشات وهمية في حركة سينمائية بطيئة) ياه .. كل شيء أمسكه يتحول وردا وزهرا . حتى الحجر . حتى التراب . حتى اغصان الشجر والاوراق والثمار..
(في الخلف تظهر نساء أربع تحمل كل واحدة منهن اسم عريب . الاولى ترتدي رداء أسود ، والثانية رداء ابيض . أما الثالثة فثوبها أحمر . بينما الرابعة تظهر في رداء أصفر . تقف كل واحدة منهن امام مرآة وهمية) .

عريب ـ ١ : (مخاطبة المرآة) : يا مرايا السعد كوني عينه

ابن الرومي (لنفسه) : هذه عريب ..

عريب ـ ٢ (للمرآة أيضا) : اخبريني . هل املأ افقه الرحيب واوسد عينه ؟

ابن الرومي : قلبي أسيرك يا عريب من قبل أن يخلق القيد ..

عريب ـ ٣ (للمرآة ..) : أشيري عليّ . أي لون أختار ؟

عريب ـ ٤ : .. واي عطر أتنفس ؟

عريب ـ ١ (الى ابن الرومي) : ابن الرومي يا ابن عمي ... تراني أحلى في لبس السواد .

ابن الرومي : ابدا . كل شيء الا السواد ..

عريب ـ ١ : انزعه اذن وان كان جلدي ..

ابن الرومي : انه ظلمة القبر والمجهول . لون الحداد .

عريب ـ ٢ : وفي الابيض كيف تراني ؟

ابن الرومي : مولاتي . يذكرني الابيض بالشيب باللحد بالكفن ..
عريب ـ ٣ : والاحمر ؟
ابن الرومي : انه لون الجراح . ما لنا ـ أختنا ـ ودنيا الجراح ؟
عريب ـ ٤ : وما قولك في الاصفر ؟
ابن الرومي : سقم وهمّ . اليك عنا يا رسول العدم ..
عريب ـ ١ : فكيف اذن ؟..
عريب ـ ٢ : .. يا من يهوى الجمال ...
عريب ـ ٣ : .. ويهواني ...
عريب ـ ٤ : .. تريد أن تراني ؟
ابن الرومي : عشقتك قبل أن تكون الالوان والرداء . لو احببتك والرداء يا فاتنة ، جعلت منك اثنتين وأنت واحدة . حين أراك لا أرى شيئا سواك . في حضرتك تختفي كل الاشياء الا أنت يا عريب ...
عريب ـ ١ : لم تجبني يا ابن الرومي ...
عريب ـ ٢ : كيف تريدني ؟..
عريب ـ ٣ : .. كيف تهواني ؟
ابن الرومي : شفافة كالنور كالضياء كغمامة وردية
صافية كالنبع بلا لون بلا ظل
اهواك يا جارية
رأيتك يوما في حدائق هيريس
كتابا مفتوحا والرياح تقرأ
رأيتك انت لا الظل
ورق التوت لم يكن بعد حاضرا
اهواك يا عريبي .. اهواك عارية ..
(تضحك النساء وهن هاربات . يبقى ابن الرومي وحده . ينسحب عنه النور شيئا فشيئا . ظلام) .

١٤ ـ أعطوه الشعر والخطابة ..

(يعود النور الى ابن دانيال وجمهوره المتحلق حول ستارة خيال الظل) .
ابن دانيال : أخبروني سادتي . هل تعيش الاحلام وتنمو لولا عيون الفقراء ؟
دنيا زاد : ابت ... (غير راضية على قوله)
ابن دانيال : .. هل ترقص الطير وتشدو لولا حروف الشعراء ؟..
حمدان : انني أعجب لابن الرومي كيف يقول الشعر ...
ابن دانيال : يا الله ! تتعجب وانت شاعر مثله ؟ أخبرني يا رجل . ألست شاعر الحي ؟ شاعر الفقراء ؟
حمدان (يضحك) : لقد كان ذلك قديما ...
ابن دانيال : واليوم ؟
حمدان : تغير كل شيء . كتبت الشعر مدة ولكن حساب البقال والعطار وصاحب الكراء والماء والكهرباء والنور والهواء اختلطت بأشعاري وما عدت أميز في دفاتري بين الحرف والرقم . ضاع الالف بين الواحد .. (يضحك) تأملت القمر جائعا فما رأيت القمر أبدا . رأيته صحنا ممتلئا سمكا .. (يضحك الجميع) ان ابن الرومي الذي قدمته يا سيدي لا يشبهني ..
سعدان : ومن أجل هذا نعترض على فنك ..
دنيا زاد : وانا كذلك يا أبت ..
ابن دانيال (مصدوما) حتى انت ؟!
دنيا زاد : لوحتك الاخيرة لم ترقني ..
رضوان : .. كانت حلما ..
دنيا زاد : دعني يا أبي اصور عريب الجديدة . ستراها كما لم ترها من قبل .. (تصيح) أطفىء النور يا أبت .. (ظلام . موسيقى انتقالية) .
ابن الرومي (في الجهة الاخرى وقد عاد الضوء . يطل من ثقب المفتاح . الثقب في حجم ابن الرومي تماما . من الجانب الآخر للثقب نرى المجموعة المكونة من أشعب المغفل وعيسى البخيل وجحظة المغني ودعبل الاحدب والزبون الذي ما زالت القوارير المعدنية في قفاه) .
المجموعة (في نفس واحد) : قالوا عنك يا ابن الرومي ...
ابن الرومي (من خلف الثقب) : ماذا قالوا ؟
المجموعة : أعطوه الشعر والخطابة ..
ابن الرومي : نعم ؟
المجموعة : .. وعريبا تعلو في رتابة ..
ابن الرومي : وبعد ذلك ؟
المجموعة : دعوه يناجي الليل وانعين
ويبكي أطلال هند وزين ...
ابن الرومي : وهذا حال كل الشعراء .
دعبل ـ ح : أنت واهم . لقد تغيرت الدنيا . اسمع يا ابن الرومي . ان اليوم غير الامس ..
ابن الرومي : ما تغير شيء ابدا ...
عيسى ـ ب : وكيف تعرف ذلك ؟
جحظة ـ م : .. وبابك مغلق دوما ؟
عيسى ـ ب : أفتح الباب ترَ . افتح الباب ... (تدخل عريب ، فيقف ابن الرومي أمامها جامدا كالصنم . صمت طويل)
المجموعة (في الجهة الثانية ، دون أن تحسّ بمقدم عريب . تنشد) :
متى تفهم يا سيد السادات
ان الازمات في بغداد اصبحت حلقات
والحلقات حوّلها الحاوي سلاسل
والسلاسل في الاقدام الحافية
يمسكها سيدي ـ قفاز الحرير ؟
(صمت . ينتظرون أي رد من ابن الرومي ولكن بدون جدوى) .
دعبل ـ ح (قلقا) : ابن الرومي . لم لا تجيب ؟ قل شيئا . اي شيء ..
عيسى ـ ب : .. المهم ألا تبقى هكذا .. (صمت) لا أحد يجيب ـ ابن الرومي لا زال يحدق في عريب ..
جحظة ـ م : اسمعوا . يجب أن نحضر السلالم حالا لنرى ما اصاب الشاعر ..
دعبل ـ ح : نعم . لنذهب . فقد يكون ـ لا سمح الله ـ قد اصابه مكروه . هيا .. (يخرجون مسرعين)
ابن الرومي : عريب . أنا من رأيتني في الحلم الاشقر في اسندارة الكاف ..
عريب : كلام الشعراء ..
ابن الرومي : ورأتك عيني برحم الزمان
في التواء النون
عريب : ماذا تعني ؟
ابن الرومي : نحن حرفان يا عريب
عريب : سمعت ذلك ..
ابن الرومي : نحن مبدأ هذا الكون
عريب : يخيل لك فقط يا سيدي ..
ابن الرومي : عريب أجيبي ..
عريب : مولاي . كلامك أمر فعن اي شيء تريد أن أجيب ؟

ابن الرومي : دعينا من الحديث عن النهي والاوامر . لسنا الان في الجندية . عريب . لم لا نكون رفاقا في مسيرة العمر ؟

عريب : لماذا ؟ الانك المولى وانا الجارية ؟ نحن يا سيدي لا تكون رقم اثنين . فالجمع قال عنه اهل الحساب يفرض ان يكون المجموع من جنس واحد. التبر والتراب لا تجمعهما الا الحروف المشتركة . وكذلك نحن يا سيدي .

ابن الرومي : عريب . اتكون ظلام وعماء ، فكيف بلا نور اهتدي ؟ امنحيني رفقتك فانا الآن سجين الاسمنت والحجارة . سجين هذا السقف . سجين بغداد . سجين وساوسي واوهامي السقيمة . انظر الى فوق فارى السماء بعيدة . بعيدة جدا . اريد ان اصعد ويلقي الي النمر بالسلالم ويقول اصعد . وانم اصعد . ترددت واستغرق التردد دهرا ، وكان ان تمزقت الحبال والسلالم وبقيت في الوحل . عيوني تهرب من ارجلي يا عريب . تهرب من قدري . ابحث عن حدائق هبريس . انها بالقرب مني . على بعد خطوة فقط . او ربما اقل . من يدري ؟ ولكنها محاطة بالزجاج . فعند ابوابها السبعة حراس من الشمع . انهم يحرسون التفاح الذهبي ، لا احد يقترب . المنطقة ملغومة . محاطة بسياج مكهرب . انني احس بالخوف وحدي . احس بالموت . من غيرك لا استطيع شيئا ، فامنحيني يدك يا امرأة . امنحيني يدك ...

عريب : لك مني ما تريد . الست المولى وانا الجارية ؟

ابن الرومي : عدنا الى حديث الاوامر من جديد . لا .. اريد ان يكون فعلك محض اختيار .

عريب : وهل للعبد حق الاختيار ؟

ابن الرومي : من قال هذا ؟

عريب : قوانين بغداد المتخمة

ابن الرومي (غاضبا) : لتغرق بغداد وقوانينها في نهر دجله !

عريب : وصك البيع الذي بين يديك ؟

ابن الرومي : ماذا ؟ (يخرج ورقة ويتاملها) اسمعي يا امة الله . لا اريد ان تجمعني بك ورقة حقيرة . لذلك فانني امزقها امام عينيك .. انظري .. (يمزق الورقة) .. انت الآن حرة . يمكنك ان تنصرفي ـ اذا شئت طبعا ـ او ان تمكثي .. (تخرج عريب . يشيعها ابن الرومي بنظراته) عريب .. عيناك بحر الاوقيانوس . في اغوارهما ضاع كل ملاح وكل غواص .. يا ويح قلبي . ابكي وانا الجرح والخنجر ..

(تعود المجموعة وهي تحمل سلما يقف على قائمتين . يصعدون الواحد خلف الآخر وهم يتهامسون في حذر)

المجموعة (ينشدون) :

من ارض تجد جئت بالعشق نديا
نجمك التائه في رحم السماء
والليل والقمر الاشقر
ملك يديا

دعبل ـ ح : اكتب الحرف وتقرأ ...

عيسى ـ ب : .. وارحل في عين غمامة ..

جحظة ـ م : .. اذوب نورا ثم تمطرني ..

دعبل ـ ح : .. انا في الاصل غمامة .

ابن الرومي : (في غضب شديد) عدتم من جديد . انتم عذابي الذي يمشي وينطق . متى تفهمون ان حضوركم يسرق النور من ايامي ؟ اجيبوني ! أليس من حقي ان احيا كل الناس ؟ ماذا اذنبت في حق السماء ؟ ماذا اذنبت في حقكم ؟ اغربوا عن وجهي واتركوني اجتر عذابي .. اليكم عني .. ابتعدوا عن بابي واعتابي . لقد لوثتم الضياء والهواء .. اتركوني . اتركوني . (يدفع السلم الذي تقف المجموعة فوقه في جنون عصبي . ظلام) .

١٥ ـ أنى أن يغيب المشوهون ..

(يعود النور من جديد لنجد انفسنا في الساحة امام عيسى ودعبل وجحظة والزبون الابكم الذي لا زال يحتج دائما والقوارير في فمه ..)

جحظة ـ م (للمجموعة) : سادتي يا اهل هذا الحي النعس . اقتربوا . اقتربوا اكثر . لقد حضرتني الآن اشعار ..

عيسى ـ ب : خير لك ان تشتغل يا رجل ..

دعبل ـ ح : .. فالشعر لا يطعم البطون الجائعة ..

جحظة ـ م : لا احد يفهم شيئا في هذا الحي النعس . صدقت يا ابن الرومي . انت وحدك من يعرف الناس وخبثهم . سادتي . اعيروني آذانكم الكريمة لحظة ثم من بعد خذوها . اختموها بالشمع ان شئتم او بالرصاص . اسمعوا .. (يتهيأ للقراءة)

عيسى ـ ب : سنسمعك ولتكن هذه آخر مرة ..

جحظة ـ م (يقرأ) : اخوتي في الله والدرب والحي من يصدق ؟

دعبل ـ ح : لست انا على كل حال .

جحظة ـ م : لم اسأل احدا منكم الجواب فانصتوا رحمكم الله ..

عيسى ـ ب : حاضر ..

جحظة ـ م (يستانف القراءة) : جعلت من صفائر العذارى سلما وتدليت ..

نزلت الارحام السائلة
ورحلت الى المدن المالحة
وبنيت بغير ترب ولا حجر ـ غرفة درس
وعلمت الاسماك اصول السباحة

دعبل ـ ح : عجبا واذن انت من ؟..

جحظة ـ م : ارجوكم . التعليق من بعد . ثم لا تخلطوا ـ اعزكم الله ـ بين المجازي والحقيقي ..

عيسى ـ ب : دعوه يكمل ومن بعد ترى . اكمل يا جحظة ..

جحظة ـ م : اخوتي في الله والدرب من يصدق ؟

دعبل ـ ح : لا احد ...

جحظة ـ م (ينظر اليه في غضب ثم يتابع) : احترقت بنار الشوق الازرق ـ فقدت وزني ـ تبخرت ـ تحررت من نعل وقميص ـ وبقايا الموت والاكفان ـ واعطيت دروسا للطيور المهاجرة ـ علمتها ـ سادتي ـ كيف يكون الطيران ... (ينظر اليهم ليقرأ في عيونهم اثر كلماته) اعجبتكم كلماتي من غير شك ، أليس كذلك ؟ انني اقرأ الاستحسان في عيونكم .

دعبل ـ ح : جحظة . لقد اعجبنا بهذه الكلمات من قديم ..

جحظة ـ م : من قديم ؟!

عيسى ـ ب : نعم . من عشر سنوات او اكثر ..

دعبل ـ ح : جحظة . هل نسيت ذلك اليوم الذي انشدها ـ وانت معنا طبعا ـ الشاعر ابن الرومي ؟

جحظة ـ م : انني .. نعم .. لقد وقع الحافر على الحافر .. هذا شيء يمكن ان يقع . نعم ويمكنكم ان تسألوا علماء الشعر والبلاغة والنقاد والشعراء واهل المنطق . من

يدري ؟! فقد يكون شيطاننا في الشعر واحدا . يلهمني بنفس ما يلهمه ..

عيسى ـ ب : يا للحقير ! يمتص دماء الخلق ..

دعبل ـ ح : .. وأشعارهم أيضا (ضحك عام ـ يسمع صوت مفتاح يدار فيتوقفون عن الضحك)

عيسى ـ ب (وهو ينظر الى الباب) : يا لله ! أيكون ابن الرومي قد قرر الخروج أخيرا ؟

جحظة ـ م : ولم التعجب ؟ سحر صوتي يفعل أكثر من هذا . انه كالقدر . كالطوفان كالزلازل . نعم انه جبار في غير عنف طبعا ..

دعبل ـ ح : أنت تخرف . لا شيء يحرك ابن الرومي الا المسك والعنبر . وهذا دكاني قوارير عطر حملتها القوافل من كل أرض . لقد قالها ابن الرومي . العطر رسول العشاق . يحمل الانفاس ويمشي بها بعيدا . انه .. (يخرج ابن الرومي وقد ارتسم على وجهه الغضب)

ابن الرومي : يا لله . متى تبتلع الارض هذا الحي ؟ متى ترمينا الطير من السماء حجرا ؟ متى يأتينا الطوفان الثاني ليملأ الافواه الناعبة ملحا وماء ؟

عيسى ـ ب : لمَ ترمينا بالغضب يا ابن الرومي وأنت منا ؟

ابن الرومي : لماذا ؟!

دعبل ـ ح : مهما تكن عاقا للاخوة ، فنحن نحبك . هل تسمع ؟..

جحظة ـ م : .. لانك صوتنا . أنت منا يا ابن الرومي .

ابن الرومي : لقد غابت عريب .. ذهبت مع الطيور المهاجرة . أنا مجرد أطلال في صحراء . لا شيء غير هيكل محشو بالغام فكيف أكون صوتكم ؟ كيف وقد أضعت الوحي والعبارة ؟ خسرت نفسي بغير رهان وأنتم السبب ..

المجموعة (بصوت واحد) : نحن ؟!

ابن الرومي : نعم . أنت السبب يا أحدب الحي ..

دعبل ـ ح : سامحك الله ..

ابن الرومي : وانت كذلك يا مصاص الدماء ..

جحظة ـ م : أرجوك لا تخلط بين الاشياء . انني حقا أمتص دماء الناس ـ وهذا أحدهم ـ (مشيرا الى الزبون الاخرس) ولكن من أجل شفائهم . حقا لست طبيبا لكنني شبيه بالطبيب .

دعبل ـ ح : .. ولست مغنيا كذلك ..

عيسى ـ ب : ولكن شبيه بالمغنين ..

ابن الرومي (بسخرية) : يغني ؟! اسمع يا سيدي . ان الفم الذي يمتص الدماء أبدا لا يمكن أن يحسن شدوا أو غناء .. كلكم أعدائي . كلكم . تركتم كل الاحياء وجئتم اليّ ، لماذا ؟ هل أذنبت في حقكم ؟ لماذا ؟ يا لله ! كنت أعمى بغير هاد ولا عكاز . كنت واهما . منيت نفسي بالعطاء في دار البخلاء . ولكن ، كيف أقطف النجم زهرا ووردا ؟ كيف أفرش الدرب بساطا وسجادا وأنا أفتح الباب صباحا ومساء على هذه النماذج العجيبة ؟ أحدب ومصاص دماء وأبله أخرق وبخيل يتنفس بحساب ..

عيسى ـ ب : أنت تظلمنا يا ابن الرومي .. نحن مثلك أخوة في الدرب والمصير ..

دعبل ـ ح : .. نقتات من حنظل مر ..

جحظة ـ م : .. ونشرب من ماء عكر .

عيسى ـ ب : ان السكين التي تذبح شاتك تذبح كل الشياه ..

ابن الرومي : لقد أعطيت ظلمة القبر شيئا مني . أعطيت انساء وزوجة ، وها أنا الآن أموت بالتقسيط ، أموت خطوة خطوة ..

عيسى ـ ب : وكل أطفالنا يموتون أيضا ..

دعبل ـ ح : .. أو يكبرون مشوهين ممتوهين ..

جحظة ـ م : .. والسبب ليس أنت ولا أنا ، ليس هذا . انه الغذاء الناقص . واذا كان لا بد من الغضب فلنغضب يا ابن الرومي على مروجي الفقر والجهل والمرض ..

ابن الرومي : ليس هذا فقط . لقد اطعمت داري الاولى للنيران ..

عيسى ـ ب : كل أكواخ القصدير معرضة للنار . هل نسيت انها من الخشب ؟ وليست من الاسمنت والحجارة ؟ افتح عينيك ترَ الاشياء كما هي . يشد بعضها بعضا . لا شيء يحدث هكذا من غير ملامسة محسوسة ..

دعبل ـ ح : .. أنت تقيم بين الاشياء علاقة سحرية . لا شيء يربط النجم بأقدار الناس . لا شيء . وحدثني يا ابن الرومي لا تمسّ أحدا غيري ..

ابن الرومي : وماذا تقول في كلام الجريدة ؟ (يخرج من جيبه جريدة) أيكون هو الآخر مجرد أوهام وخرافات ؟

دعبل ـ ح : الجريدة ؟!

ابن الرومي : نعم . هل قرأت يا سيدي « حظك اليوم » ؟ طبعا لا . والا لما كنت تقول ما تقول .. اسمع اذن .. (يقرأ) ستفقد شخصا عزيزا لديك ويكون السبب هو نحس يأتيك من رجل أحدب .. (يكفّ عن القراءة) وهل في هذا الحي رجل أحدب غيرك ؟ أنت السبب .. كان عليّ أن أعرف هذا قبل الآن .. كل صباح أفتح الباب وفي عيني ظما الى بغداد ، وأظل لاراك جالسا أمامي كالظل الاسود ..

عيسى ـ ب : ان ما تفكر فيه يا ابن الرومي لا يمكن أن يكون لانه غير معقول ..

ابن الرومي (ضاحكا في ألم وسخرية) : غير معقول ؟! كل ما في بغداد أيضا غير معقول . ولكنه مع ذلك موجود . هل تنكر هذا ؟ في ظهرك يا دعبل أرى شقائي وشقاء بغداد. أراك دوما منحنيا كمنجل صدىء . كانسان خرافي خرج من قلب الاساطير . في وجهك أقرأ لعنة الله والسماء ...

دعبل ـ ح : انت لا ترى الاشياء يا ابن الرومي ولكنك تخلقها . عيونك مفتوحة على خيالك ...

ابن الرومي : دعبل . أريد أن أفتدي منك نفسي ..

دعبل ـ ح : لم أفهم ..

ابن الرومي : أريد أن أشتري منك رحيلك فكم تطلب ؟ كم ؟ مئة ؟ ألف ؟ أطلب ما شئت ..

دعبل ـ ح : عجبا . تريد شراء موتي ؟

ابن الرومي : بل أريد حياتي . أليس لي الحق في أن أحيا كسائر الناس ؟ أجب ! لقد كهربت عالمي . زرعت في أركانه ألغاما وناراً . دعبل . أنا ما عدت أرى الوجود الا من خلالك . أرى الهلال في انحناءة ظهرك . أرى الحياة قصيرة في مثل قامتك . انني أختنق ..

دعبل ـ ح : افتح الابواب والنوافذ ..

ابن الرومي : كيف افتحها وأنت أمامي كصخرة القبر ، تذكرني بالموت بالطوفان بالزلازل بالوباء ؟ لم يحدث أبدا أن فتحت الباب يوما ولم أجدك . قد يخطىء دجلة يوما ويغير المجرى وأنت ثابت أبدا في مكانك ..

دعبل ـ ح : سأرحل يا ابن الرومي كما تطلب ..

عيسى ـ ب : ماذا تقول يا دعبل ؟ هل فكرت في ؟...

دعبل ـ ح : سأرحل ـ لا طمعا في عرضك السخي ولكن من أجل ان تعرف ان غيابي لن يغير شيئا .. (يخرج)

المجموعة (تجري خلفه لتثنيه عن الذهاب) انتظر يا دعبل .. انتظر .. انتظر يا رجل .
(يخرجون كذلك ـ ظلام)

١٦ ـ وعادت عريب ..

(يعود الضوء من جديد واذا نحن في الساحة . تشتغل المجموعة بملء عربة عتيقة بأمتعة دعبل الاحدب . تتم العملية بشكل ميمي تصاحبه موسيقى تصويرية تساعد على رسم عملية الشحن . تنتقل الامتعة الوهمية من يد لاخرى وذلك في تسلسل منتظم)

اشعب ـ م (يدخل مسرعا كعادته . تتوقف الحركة) : اسمعوا . لقد جئتكم بخبر سيغير مسار التاريخ ..

عيسى ـ ب : انت لا تكفّ عن حماقاتك ابدا ..

اشعب ـ م : وانت لا تكفّ عن احتقاري يا عيسى .. اسمعوا . انني لا اريد أن يرحل منكم أحد (لدعبل بلهجة الآمر) أعد امتعتك الى مكانها .. وبسرعة .

دعبل ـ ح : قل هذا الكلام لابن الرومي ..

اشعب ـ م : اطمئن . ستقوله عريب .

الجميع : عريب ..

اشعب ـ م : نعم . ستاتي بعد حين . صدقوني .. لا تنظروا اليّ هكذا فلست كاذبا . لقد شكوت لها عذاب ابن الرومي ومتاعب الحي ففضلت أن تكون معنا لانها منا . وليعرف الشاعر انه لا علاقة اطلاقا بين دعبل وغيابها . اعد امتعتك الى مكانها .. تتهمونني دائما بالفضول مع انني لست كذلك . يعز عليّ أن يتعذب منكم أحد من غير أن أكون بجانبه . لذلك أتلقط الاخبار ، أتصيدها ، لان مصيركم يهمني . ففي أمنكم وسلامكم أجد عزائي وراحتي .. عريب آتية ، لذلك جئت مسرعا يا دعبل. جئت قبل أن ترحل ..
(ينادي أمام الباب) ابن الرومي . افتح الباب . لقد جئتك باحلى الاخبار . افتح الباب ..

ابن الرومي (من خلف الباب) : أنت لا تاتي الا باخبار النحس يا أشعب . تحمل الاخبار وتمسخها . أنت مرآة تشوه ما تنقل ...

أشعب ـ م : اعف عنه يا الله . اطعمه من قلبي فيطعمني الشوك . اسمع يا ابن الرومي . عريب آتية ..

ابن الرومي : أنت تخدعني ..

اشعب ـ م : أبدا . عريب في الطريق الى الحي . صدقني ولو مرة .. (تدخل عريب وتأخذ مكان أشعب . تقف خلف الباب بحيث تراه ولا يراها) .

ابن الرومي (لنفسه) : عريب . يا من أفرخت في القلب وطارت . أنت شعلة من لهب
أخبروني . هل تمسك النار الا وهي حفنة من رماد ؟
ولست اريدك الا نارا وجمرا ـ قد أحرق ـ قد أذوب وافنى ـ أموت وليحيا الفناء ...
(يفتح الباب أخيرا ليجد نفسه أمام عريب . لحظة صمت تموت فيها الكلمة والحركة . ينسحب الجميع الا ابن الرومي وعريب) .

ابن الرومي : عدت يا عريب ؟

عريب : عدت .

ابن الرومي : رجعت للفقر والجوع والنحس ؟ لماذا ؟

عريب : لماذا ؟! لانني منك ، من هؤلاء . من مدن الصفيح من أكواخ القصب . اليوم يا ابن الرومي أعود . أعود للنبع أعود للاصل ...

ابن الرومي : لا يا عريب لا . مكانك فوق . انني أشفق عليك من عالمي . من مصيري التعس . عودي من حيث أتيت واتركيني . مملكتان نحن يا عريب . بيننا حدود وجمارك وأسلاك شائكة . الفقر كالموت شيء شخصي . دعيني اذن أحمل فقري وحدي . انه لعنة من السماء . لعنة تخصني أنا ، لا أنت ، فابتعدي حتى لا تصيبك العدوى ..

عريب : لا . كيف تلحقك اللعنة يا ابن الرومي ؟

ابن الرومي : لست أدري ..

عريب : وانت ما زرعت شوكا ولا سدرا ؟

ابن الرومي : وذلك ما يحيرني ..

عريب : كل أفكارك يا ابن الرومي في حاجة الى مراجعة ..

ابن الرومي : وبغداد أيضا تحتاج الى مراجعة ..

عريب : نعم . ومن أجل هذا أتيت اليك . غدا نبني ونعلي معا أسوار بغداد الحلم . غدا نخرج من مملكة الظلال لنعانق الناس والقضايا ...

ابن الرومي : يا الله . من قبل يا عريب لم تسمميني مثل هذا الكلام. لماذا ؟

عريب : لانك كنت غريبا عني .

ابن الرومي : لم افهم !

عريب : كنت في بيتك جارية .

ابن الرومي : نعم . وكنت المولى .. ليتنا ما التقينا في بيت الرباب يا عريب .

عريب : لقد منحتني حق الاختيار وقد اخترت . اخترت أن أكون الى جوارك . الى جوار دعبل وعيسى وجحظة واشعب وغير هؤلاء . انني أراك واقفا في بركة ماء وعيونك فوق .. سجين بغداد وأشياخها وسجين نفسك .. ابن الرومي . انني أشفق عليك من ...

ابن الرومي (مقاطعا في غضب) : لا أريد شفقة من أحد . لست شحاذا أسأل عطفا وحنانا ..

عريب : اخطات التعبير يا ابن الرومي فمعذرة . انني اشفق على مصير الاشقياء ونحن منهم .

ابن الرومي : نحن ؟! هل نسيت قولك الاول يا عريب ؟ نحن لا نكون رقم اثنين أبدا . هل نسيت المجموع الذي قال أهل الحساب انه يجب أن يكون من جنس واحد ؟!

عريب : ونحن الآن كذلك .. نحن من معدن واحد . انا منكم يا ابن الرومي . بنت الصفيح انا ، والخشب ..

ابن الرومي : أنت منا ؟! ظلمتك اذن يا عريب .

عريب : لست وحدي من تظلمه .

ابن الرومي : لم أفهم قولك .

عريب : سيأتي الوقت وتفهم كل شيء يا .. أيها الطفل الكبير . أما الآن فهيىء سمعك لتسمع ، فلي عندك مطلب ..

ابن الرومي : اطلبي ما شئت ..

عريب : اريد خلخالا ..

ابن الرومي : فقط ؟

عريب : اريد خلخالا معينا أضعته اليوم في السوق . كنت امشي في الزحام فسقط من قدمي . بحثت عنه ولم أجده . سألت عنه بائعي السمك والقصب وبائعي الفخار . سألت التجار والمنادين والحمالين وكل من

في السوق . سألت ولم يرشدني احد . ليس هناك من يمكن أن يعثر عليه غيرك .

ابن الرومي : ولماذا انا بالذات ؟

عريب : ان هذا الخلخال هدية . هدية من جـدتي المرحومة . لقد كانت امراة صالحة تقية . هل تعلم يا ابن الرومي ان خلخالي يجلب السعد ؟

ابن الرومي : قد يكون . ولكنني ما عرفت السوق ابدا ..

عريب : هذه فرصتك اذن لتعرفها .

ابن الرومي : هبيني عرفتها فكيف اعرف الخلخال ؟ كيف ؟

عريب : الامر بسيط . انه من فضة .

ابن الرومي : كل الخلاخل من فضة . قولي غير هذا .

عريب : .. ثم ان به نقشا يمثل شعرا جميلا .

(يدخل أشعب وعيسى ودعبل وجحظة والزبون الابكم . يسير الجميع بخطى خائفة)

ابن الرومي : عيسى ، جحظة ، دعبل ، أشعب . اقتربوا . هذا قلبي النفس أنشره عند اقـدامكم سجادا وبسـاطا . اقتربوا ..

جحظة ـ م (بارتياب) : ما هذا الكلام الزائد ؟

عيسى ـ ب : هل انت بخير يا ابن الرومي ؟

ابن الرومي : نعم . لاول مرة أشعر بانني احيـا واتنفس وأرى . اقتربوا . اقتربوا يا من في احـداقكم اقرا ما في القلب . قلوبكم ناصعة طاهرة . أراها منشورة امـام الكل على حبل الغسيل .. أشعب . يا رسول الحـي وقلبه . لست فضوليا . نعم ، لانك الجزء والكل . أنت روح بغداد ـ الظل . بغداد الفقـراء .. وانت يا جحظة ، يا كروان حي الصفيح ، غنيت عذابنـا وشقاءنا . غنيت أفراحنا .. وأنت يا دعبل ...

دعبل ـ ح : سأرحـل كما وعدتك يا ابن الرومي .

ابن الرومي : لا بل ستبقى . نعم أخاف عليك من العراء . أخاف من قبضة السماسرة . ستبقى . سيبقى الجميع . وليذهب الخادم يا زمان الى الجحيم ..

عيسى ـ ب : يا زمان ؟! هذا الاسم جديد على سمعنا يا ابن الرومي..

ابن الرومي : ساحدثكم عنه ، ولكن ليس الآن .. وانت يا عيسى ؟

عيسى ـ ب : لست بخيلا يا ابن الرومي . صدقني ..

ابن الرومي : اصدقك ..

عيسى ـ ب : تصديقك غير كاف لانه وليد حالة . حالة عابرة . كل مواقفك تبنيها أحوال نفسية وتعدمها أخرى ..

جحظة ـ م : انه كالسماء يغيم مرة ..

دعبل ـ ح : .. ويشرق مرة أخرى ..

جحظة ـ م : نريدك أن ترى الاشياء بعقلك ..

دعبل ـ ح : .. أن تخرج من بين الجدران وتعانق بغداد ..

ابن الرومي : اطمئن يا رجل . سأفعل ما تقول .

عيسى ـ ب : كلام فقط . تقوله كل مرة .

ابن الرومي : الامر هذه المرة يختلف .

أشعب ـ م : أنت بلا شك تمزح يا ابن الرومي .

ابن الرومي (لعريب) : سأنزل الى أسواق بغداد لآتيك بالخلخال (للمجموعة) اخوتي ودعوني أو شيعوني ، فقد اعـود أو لا أعود . من يدري ؟ وداعا يا عريب . سأرحل مـن بغداد الى بغداد . وداعا (يخرج فيجري الجميع خلفه مودعين اياه الا عريب التي تقف جامدة كالصنم)

عريب (تحدث نفسها في حزن) : يا لله . ماذا فعلت ؟ بعثت به للسوق لا ليعود بالخلخال ولكن لاحرره من نفسـه واوهامه . تراني فعلت خيرا أم ارتكبت خطأ قاتـلا ؟ لست ادري .. لست ادري ..

(تنشد) بغداد يا بغداد يا وردة فجرية ـ يا منـاجم الاحزان ـ والنار والغيم والدخان ـ كنت عرافك يوما وكنت نبية ـ

بغداد يا بغداد يا وردة فجرية ـ تعطلت ساعة الميـدان ـ فشخت في لحظة وانت بعد صبيـة ـ بغداد يـا بغـداد ....

(تخفت الانارة في شكل تنازلي يوازي صوت عـريب الآخذ في التلاشي ـ ظلام) .

١٧ ـ الى أن ينزل الستار ..

(يعود الضوء الى ابن دانيال الراوي والى خيـال الظل ..)

ابن دانيال : سادتي .. رحل ابن الرومي كما رايتم والعيون خلفه .. في القلب مسمار أطول من عذاب الابرياء وبين الانامل الحالمة ـ بقايا الحلم والشعر رحل الشاعر . ألقى للريح والموج شراعه نزل من سماء بلا زرقة ولا أنجم ـ ليعـرف بغداد ـ ليعرف أسواقه ودروبه ..

حمـدان : لم تخبرنا يا ابن دانيال عن مصير مدينة القصدير .

ابن دانيال : تسالون عن حي ابن الرومي ؟

رضـوان : نسأل عنه ..

ابن دانيال : عجبا . وحيكم مهدد بالهدم في كل لحظة ؟!

سعـدان : كنت تبعـدنا اذن عن قضايانا .

ابن دانيال : ابدا ..

سعـدان : تخدرنا كالاطفال بالاغاني والحكايا ..

رضـوان : .. لنقمض الجفن وتبقى الدنيا كما كانت ..

ابن دانيال : لا . اسمعوا . انني لا احسن لغة الجيل ، لذلك اترك الحديث لابنتي دنيا زاد .. حدثيهم يا ابنتي ..

دنيا زاد : سادتي . ان بغداد الحكايـة ليست بغداد التـي تعرفون ..

ابن دانيال : نعم . انهـا هذا الحي . نسخة اخرى من مدينتكم هذه (يذكر المدينة التي تمثل فيها المسرحية)

دنيا زاد : .. ودعبل وجحظة وعيسى وأشعب وابن الرومي وعريب. كل هذه الاسماء ان هي الا اقنعة تخفي خلفها نمـاذج بشرية من هذا الحي . من هذه المدينة ..

ابن دانيال : .. فابحثوا عن انفسكم خلف الاقنعة .

دنيا زاد : أنتم أهل بغداد الجديدة ..

ابن دانيال : .. فلا تسالوا اذن عن حي ابن الرومي .

دنيا زاد : واسألوا عن حيكم . عن قضاياكم .

ابن دانيال : .. أنتم وحدكم من يملك الجواب .

دنيا زاد : من يصنع الملاحم والحكايا ويعيـد تشكيل بغـداد الجديدة ..

عاشور (يـدخل مسرعا وهو يلهث) : الدنيا تغيرت من حولكم وانتم لا تدرون شيئا .. (يرفعون أيديهم الـى فـوق كالعادة) لا . دعوا أيديكم كما هي . فلست في حاجة الى اموالكم الحقيرة . كان ينقصني شيء واحد وقـد حصلت عليه اخيرا . انظروا . انها قبعـة جميلة ، أليس كذلك ؟

سعـدان : عاشور . من اين أتيت بهذه القبعة يا ملعون ؟

عاشور : لم أسرقها . نعم . يمكن أن تصدقني ..

حمـدان : السماء لا تمطر القبعات .

عاشور : ولكنها تمطر السواح والاجانب والمغامرين والدولار ايضا.

سعـدان : سالناك من اين آتيت بالقبعة ؟

حمـدان : تكلم والا أزهقت روحك أيها الابله .

رضـوان : من اين أتيت بها ؟

عاشور : ارفعوا أيديكم والا أخرجت المسدس . اسمعـوا . ساحدثكم عن شيء أو أشياء غريبة . فان صدقتمونـي فاهلا وسهلا . والا فالى الجحيم أنتم وأوهامكم الغبية. لقد جاء الحي رجال من التكساس ..

سعـدان : ماذا تخرف ؟

عاشور : .. نعم وان كانوا بغير خيول ولا مسدسات معلقة عـلى الحزام . أنهم يرتدون قبعات جميلة ويدخنون السيجار. رايتهم يقيسون الارض ويدونون أشياء في الاوراق ..

رضـوان : انهم المهندسون . متى ستفهم يا عاشور ؟

عاشور : المهندسون ؟!

رضـوان : نعم ولقد أتوا لتحطيم الحي يا غبي ..

عاشور : ولكنهم طيبون . قالوا بانهم سيبنون بنايات جميـلة كالتي نراها في السينما ، واعطوني اشوينكوم وأنواعـا مختلفة من العلبات ، وسالوني عن أشياء اخجل مـن ذكرهـا ..

(أصوات خارجية هي عبارة عن صياح . يمكن تصـوير التظاهر من خلال الصور الثابتة أو أية حيلة تقنيـة اخرى) انظروا . ان أصحاب القبعات يتراجعون أمام الحناجر الغاضبة ..

عاشور (في خيبة) : لقد ذهبوا وقد لا يعودون غدا .

رضـوان : سيعودون ..

عاشور : لقد وعدوني بمسدس جديد . وداعا أيتها الامـاني . وداعا ..

حمـدان : اخرس ايها الابله . هل تريد ان يسقط السقف فـوق راسك ؟..

سعـدان : .. وان تبقى مشردا بلا بيت ولا ماوى ؟

عاشور : طبعا لا .

سعـدان : اذن تعال واتبعنا ..

رضـوان : .. وافعل كما نفعل . تعال (يجـذبونه من يـده ويخرجون . تجري دنيا زاد خلفهم) .

ابن دانيال (يناديها) : دنيا زاد . الى اين تذهبين يا ابنتي ؟

دنيا زاد : اين اذهب ؟ اذهب الى حيث يذهب هؤلاء ..

ابن دانيال : ولكننا لسنا منهم . نحن من عالم آخر ..

دنيا زاد : أنت واهم ياابي . ليس هناك الا عالم واحد ومدينـة واحدة .. الكلمة التي تفتقر الى الحركة هي كلمـة زائفة تماما كعملة بلا رصيد . وجودنا داخـل المدينـة وعذابنا أشياء لا يمكن القفز فوقها . تعال يا أبي .. عذاب الفقراء ما كان يوما فرجة ولن يكـون ابدا .. تعال .. (تمد يدها لابن دانيال . يتردد هذا لحظـة ثم يعطيها يده) .

ابن دانيال (مترددا) : وقصة ابن الرومي يا ابنتي . انها لم تتـم بعـد ..

دنيا زاد : اطمئن . سنكملها في المسرحية الثانية .. (يخرجـان فتنزل الستارة) .

الدار البيضاء (المغرب)

دار الآداب تقدم :

شوقي بزيع

في مجموعته الشعرية الاولى

عناوين سريعة لوطن مقتول

صوت من أصوات لبنـان الجنـوبي

يتفرد بنبـرة شاعريـة استلفتت

انظار النقاد والدارسين

صدر حديثا

صدر حديثا :

الارض تنشر أسرارها

للشاعر مريد البرغوثي

●

منشورات دار الآداب